

مملكة الشياطين

"رواية"

رشا صلاح الدين

مملكة الشياطين
رشا صلاح الدين / مصرية
الطبعة الأولى عام ٢٠١٦
ISBN: ٩٧٨-٩٧٧-٦٤٤٥-٧٥-٨
رقم الايداع: ٢٠١٦/١٥٧٩٢

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.



دار الكتب

Daralkotob

المدير التنفيذي: آية عفيفي

تصحيح لغوي: محمد لطفي

اخراج داخلي: أيمن فخري

غلاف : NileDesign.com

دار الإبداع للنشر والتوزيع

موقع دار الكتب

أبراج عثمان- كورنيش المعادي

القاهرة - مصر

هاتف: ٢٣٦٦-٢٠٥-٠١٠٠

E-mail: info@Daralkotob.com

www. Daralkotob.com

    daralkotob

مملكة الأشياء طين



دار الكتب

Daralkotob

obeikandi.com

تتلبسنا الأفكار كالشياطين

وتتلبسنا الشياطين كالأفكار...

فلا نعلم أتقودنا الأفكار إلى جحيم الشياطين

أم تقودنا الشياطين إلى جحيم الأفكار..

obeikandi.com

إهداء...

إلى كل من أخذ على عاتقه مسؤولية دحر مملكة

الشياطين...

obeikandi.com

تنبيه هام جدًا

هذه الرواية المتواضعة التي بين أيديكم ماهي إلا محض خيال
لمؤلفها، وأي تطابق أو تشابه بين أحد شخصياتها وبين الواقع
يندرج تحت بند الصدفة البحتة ، فكل من حركوا أحداثها من
أناسي أو شياطين، عاشوا فقط في خيال كاتبها، أو ربما في
أمنياته.

obeikandi.com

(١)

ما زالت الشمس تحاول الدخول إلى غرفته على استحياء من بين ثنايا الستائر التي جذبها الهواء للخارج من خلال النافذة المفتوحة منذ أمس، ولفحات الهواء البارد تتسلل لتوقظ (موكا) قطته الهادئة، التي تشاركه مسكنه وتكسر حدة وحدته، وكعادتها بعد استيقاظها تقفز فوق وجهه مطالبة بإفطارها، ولا تكف عن مؤائها حتى يستجيب لها - رُغماً عنه - رغبةً في صرفها عن فراشه ليستكمل نومه لبضع ساعات أخرى...

فليس هناك من سبب واضح يدفعه للإستيقاظ الآن.. حيث لا أحد ينتظره، ولا عمل يُفتقد وجوده فيه...

لقد اعتاد (إبراهيم) عزلته وأكتفى بالانفاق مما يدُرُّه عليه ميراثه من والديه، وإن لم يتركاً له أموالاً طائلة، لكنها تفي باحتياجاته هو (موكا)، فقدْ فقدَ طموحه للحصول على المزيد، وزهد في كل ما يُشعر بالحياة.

وبالرغم من كونه متديناً إلى حد ما، بمعنى أنه مؤمن بوجود الله، ترجع دماثة خلقه لكونه من عائلة لها أصول ريفية نجحت في

تنشئته على أخلاق القرية، وبرغم تمتعه بقدرٍ فائقٍ من الذكاء الذي يكاد يصل للعبقريّة إلا أن الحظَّ يعانده دائماً، وكأُما بينهما ثأراً قديم للحد الذي ألبأه لتلقي العلاج النفسي لدى (د. مهاب الألفي).. طبيب في منتصف الأربعينات، جادّ، مهذب، تميّز مناقشاته بروح الدعابة الساخرة أحياناً، التي لا تروق كثيراً لإبراهيم، الذي يعتبرها استهانة واستخفافاً بما يَخْتَلِجُ داخله من أحزان؛ نظراً لطبيعة إبراهيم الجادة، وعلى الرغم من كون (د. مهاب) شخصاً مرهف الحس بالفعل، يعاني كثيراً من حزن غير مبرر نتج عن تعمقه ومعاشيته الشديدة والصادقة جداً لحالات مرضاه.

أما إبراهيم فكل شيء في حياته بعد رحيل والديه واختياره للعزلة بعيداً عن البشر- بدا له مُعطلاً كهاتف قديم قُطعت أسلاكه المتهالكة، وكلما أوشك على إصلاحه انقطع من مكان آخر فيزداد شعوره بالفشل كل مرة؛ فيبني حول نفسه المزيد والمزيد من الحصون والسياج ليتوقّع داخلها ويتوارى.

ذات مساء.. بينما كان إبراهيم في إحدى زيارته للعيادة النفسية تحدّث مع (د. مهاب) باستفاضة عن مشاعره المضطربة وما يترأى له من شُخوص تبدو له حقيقية، تعيش معه وتخرج من بين ثنايا أفكاره لتتجسد أمامه واقعاً حقيقياً، وتحدث إليه

عن آلامها و أحزانها ومشاكلها، مُوجهةً إليه كلّ اللوم لما آل إليه حاله وأحوالهم معا، مُحملةً إياه الذنب في هذا المصير البائس، ولكن الغريب في الأمر أنه قد أُلِف وجودهم في حياته حيث لا يؤنس وحدته شيء أكثر من أحاديثهم وخلافاتهم؛ فأصبح يستمتع بوجودهم معه و لا يستطيع أن يثبت كونه واقعاً أم خيالاً، فالأمر يختلط لديه بين النوم واليقظة وتنعدم فيه الخطوط الفاصلة، وهو لا يجهد نفسه بوضعها، بل إنه بات ييث لهم همومه أحياناً ويتحدث كثيراً معهم عما تُعرض له من مواقف مع البشر واستغلال البشر لطيبته ونبل أخلاقه، كما يحاول الدفاع عن نفسه أمام اتهاماتهم المتلاحقة له بالسذاجة، والتفريط في حقوقه مع الآخرين. وبالرغم من ذكائه وفهمه لهم وإدراكه لخبث نواياهم؛ كان لا يبالي ويُيسر لهم ما يريدون الحصول عليه منه..

اعتاد إبراهيم أن يستمع لخلافات شخوص خيالاته وتناقضاتهم وتباين آرائهم دون أن يتدخل، واعتاد كذلك على هذا اللوم المستمر منهم، كما اعتاد أن يُدعن للرأي المنتصر فيهم. وهم دائمو الاختلاف، حتى ان خلافاتهم قد تصل أحياناً للتحكم في مذاق طعامه وذوقه في اختيار ملابسه التي يبدلها -أحياناً- في اللحظة الأخيرة نزولاً على رغبتهم في ذلك... حقيقة.. ليس أمر هذه الصفة الغير اعتيادية وما خلفته في داخله من سمات السلبية والتردد في اتخاذ أي قرار في حياته -

هو فقط ما دفعه للتردد على عيادة (د. مهاب)؛ وإما ذلك الكابوس الذي يلاحقه من فترة لأخرى ويجثم على صدره فيفقد القدرة على التحكم في أي شيء، فيجد صعوبة بالغة في التنفس مصحوبة بسرعة في ضربات القلب، ويشعر حينها كأن روحه حبيسة شيء ما، يختنق صوته داخله؛ فيصرخ دوغما صوت؛ يحاول جاهداً أن يهرب منه بالاستيقاظ فلا تفلح محاولاته، وعندما يحالفه الحظ ويفلح في الاستيقاظ يجد نفسه منهكاً تماماً؛ وقد تشنجت كل أطرافه؛ تؤلمه أسنانه نتيجة الجز عليها أثناء ذلك الكابوس المفزع؛ يتنفس بصعوبة بالغة كأنه كان يجري لعدة أميال دون توقف، أو كأنه قد أنهى للتو معركة ضارية تركته منهكاً تماماً، ليقضي بعدها جزءاً من يومه يشعر بالإرهاق كأنها دق أحدهم عظامه بمطرقة... ليس ذلك فحسب بل إنه أحياناً يجد على جسده آثاراً لما تعرض له من إيذاء أثناء نومه.. حقاً لقد أصبح كثيراً ما يخشى النوم خوفاً ممن يقيدون روحه في هذا الكابوس ويُسَلِّون حرية حركتها...

لم يُبدِ (د. مهاب) أيَّ اندهاش لما رواه إبراهيم، حتى عندما رأى تلك الندوب والخدوش التي يعتقد إبراهيم أن أشباح كوابيسه هم من سببها له، بل كان يستمع إليه في هدوء، ويدون فقط بعض الملاحظات في أجندته حيث إنها أصبحت حالة متكررة بشكل مثير للدهشة، يتكرر مرورها عليه كثيراً هذه الأيام، ربما

لكثرة الهموم التي كُبلت قلوب البشر فيخرجها اللاوعي أثناء نومهم على هيئة كوابيس لتُنفس عن غضبهم الدفين، حتى حالات الاكتئاب الحادة و نوبات الوهم والسكريتوزوفرينيا (Schizophrenia) بدت بالنسبة له متكررة ومعتادة تمامًا كالانفلوانزا، لذا فقد كتب الروشة له في هدوء.

لم يرق لإبراهيم هدوء (د. مهاب) دونما أدنى تعليق يرضيه؛ فنظر إليه إبراهيم متسائلاً :
هل أنا على حافة الجنون يا (د. مهاب) أم جُننت بالفعل؟ أم هي أعراض سكريتوزوفرينيا؟

فردَّ عليه د. مهاب ممازحاً :
• لا أنت اتلبست عادي هنعملك زار، ونصرف العفريت ده ماتخافش!!

• بتكلم جد يا دكتور، أنا حاسس إن عندي سكريتوزوفرينيا، مش كده؟؟
• جرى إليه يا إبراهيم هو أنت هتعي وتتشخص لنفسك المرض كمان، شوية اكتئاب ياعم وهيروحو لحالهم ماتبالغش وتمرض نفسك بالعافية.

مطَّ إبراهيم شفّتيه وجزَّ على أسنانه وهو ينظر لـ د. مهاب متسائلاً :

• لا بتكلم جد يا دكتور، إيه اللي أنا فيه دة بالضبط؟

فأجاب (د. مهاب) بابتسامة :

• يعني أنت شايفني أنا اللي بهزر، ما أنا برضه بتكلم جد... دول شوية اكتتاب نتيجة الضغوط اللي أنت اتعرضت لها، والوحدة اللي بقيت فيها ودي حاجة مخالفة لطبيعتك الاجتماعية، عشان كدة جالك اكتتاب.

• طيب والناس اللي بيطلعوا من أفكارى ويجيوا يقعدوا معايا دول؟

• أنت بنفسك قلت إنك مش متأكد إنهم حلم ولا حقيقة.. و زي ما قلت لك أنت اجتماعي ومن جواك أنت رافض الوحدة اللي فرضتها على نفسك، وأنت نفسك بتهرب منها لخيالك.

• خيالى؟! دول بيعدوا معايا زي ما أنا قاعد مع حضرتك دلوقتى بالضبط يا دكتور.

• وماجوش معاك هنا ليه عشان نتعرف؟

• هم مايعرفوش إني جاي أنا ماقلتلهمش.

• ليه؟

• علشان مايمعنونيش؟

• هم مايقدروش يمنعوك يا إبراهيم.. أنت اللي بتقرر أنت عايز تعمل إيه وبتستعملهم شماعه عشان تحسس نفسك بالقهر، وإنك مُجبر على اختياراتك، صدقني يا إبراهيم أنت أقوى من اللي بتوهم بيه نفسك.

• طيب وخناقاتهم؟

• ده الصراع اللي جواك أنت.

• طيب والكوابيس اللي بشوفها؟ دا أنا بقيت بخاف أنا.

• الكوابيس دي بتخرج الصراع اللي جوه عقلك الباطن وتترجمه لصورة صراع حقيقي عشان توصل لك الفكرة اللي عايشه جواك برضه.

• يعني حضرتك عايز تقول إن كل ده مجرد تهيؤات؟

• شوية هلاوس سمعية وبصرية أنت تقدر تسيطر عليها لو أنت عايز ده، وصدقني لو أنت مش عايز ده ماكنتش جيت لي. ها.. تحب تبتدي بأه في العلاج الصح وتقاوم كل الوهم ده؟ ولا تستسلم وتخلي الأوهام هي اللي تهزمك وتزود الاكتئاب اللي عندك؟

• ابتسم إبراهيم وقال بابتسامة ساخرة :

لا، أنا بفكر أروح أعمل زار.

• لو كان ده تفكيرك ماكنتش جيت لي، صدقني يا إبراهيم أنت أقوى مما تتخيل..

كتب له د. مهاب رويشة العلاج وأعطاهها له وابتسم له قائلا : هشوفك بعد أسبوعين تكون طردت العصابة اللي معششة في خيالك دي وبتكلم بعدها، بس الأدوية دي لازم تتأخذ في مواعيدها من غير تهاون، وكل ماتحس إن حد من اللي في خيالك بيحاول يقتحم حياتك اشغل نفسك بأي حاجة تانية.. أخرج اتمشى ، اعمل رياضة، قوم انتبط حتى شوية، أدخل على أي موقع تواصل اجتماعي على الانترنت وتواصل مع الناس، كُون أصدقاء حتى لو افتراضيين في عالم افتراضي.. تفاعل يا إبراهيم... تفاعل مع اللي حواليك حتى لو من بعيد.. اتفقنا؟

• اتفقنا ، هحاول

• لأ، هتقدر.

وبدلاً من أن تبث كلمات د. مهاب التفاؤل في نفس إبراهيم زادت من شعوره بالإحباط بشكل كبير، لشدة إحساسه بصعوبة أن يصدق أي بشر أمر تلك الشخصيات التي تتجسد له كواقع وتعيش معه..

لذا فقد خرج من عيادة د. مهاب حاملاً قدراً لا بأس به من الإحباط والإنهزامية، قدراً يكفي العالم لو وُزِعَ عليه، وتتلور أمام عينيه فكرة الانتحار كمنقذ أخير فيصارعها إيمانه الذي أبى أن يتخلى عنه رغم كل الظروف التي مر بها ليأدّها في مهدها قبل أن تتوحش وتتمكن منه.

obeikandi.com

(٢)

ظلَّ إبراهيم بين صراع الأفكار المتقددة في ذهنه وشعوره بأنه يطوي في قلبه أحزان مدينة - حتى فقد تركيزه الواعي وسلَّم نفسه بإرادة كاملة لللاوعي ، ليجدَ نفسه بلا مقدمات منطقية في قلب صحراء شاسعة لا يذكر أي طريق سلكه ليأتي إليها، فأخر ما يذكره عقله الواعي خروجه من عيادة د. مهاب في أحد الأحياء الهادئة في أطراف المدينة المترامية الأطراف، الزاحفة بكل زخمها لتلتهم الصحاري المحيطة بها وتضمها إلى صخبها رويدًا رويدًا، إلا أن الذي أعاد إليه الانتباه واستفز إدراكه إضاءة مؤشر الوقود الذي أوشك على النفاد، وصوت صافرة الإنذار لتجاوزه السرعة الآمنة، فما كان منه إلا أن ضغط على مكابح سيارته وانتحى على جانب الطريق لاستجماع أفكاره وتدبر الأمر.

وسرعان ما راقى له فكرة وجوده وحيدًا في مكانٍ مقفر مظلم بعيدًا عن الضوضاء وضجيج المدينة، فلعلها فرصة لارتداء ثوب جديد من ثياب الوحدة التي يعيشها بالفعل وهبتها له السماء ليتعد أكثر عن البشر وفضولهم وتلصصهم الدائم عليه واستنزافهم المستميت لمشاعره وعبثهم بأفكاره؛ فلكم اعتبرهم

جزءاً لا يستهان به لما آل إليه حاله الآن من التيه والتشتت الذي جعل مستقبله ملبداً بالغيوم... لذا فقد فكر سريعاً، وقرر إغلاق هاتفه الذي كان نادراً ما يستمع لرنينه؛ لينعم بتلك اللحظات المنفردة، ويوفر لندرتها التبجيل اللائق بها، فأراح مقعده إلى الخلف، وأغلق نوافذ سيارته إلا بما يسمح بتجديد هواء التنفس، وأغمض عينيه في هدوء ذي مذاق جديد لم ينعم به من قبل رغم وحدته الدائمة؛ فحتى (موكا) لن تفسدها عليه موائها...

بددَ هذا الهدوء إضاءات غريبة لاحت فجأة له من بعيد آتية من قلب الصحراء لها ممر من نور يمتد كاللبساط إلى باب سيارته الأيمن؛ فقفز إلى المقعد الأيمن، ثم فتح باب سيارته وسار مع النور إلى حيث منبعه، سار إبراهيم وكأنه مُنوم مغناطيسياً وكأن أحدهم يشدّه شداً إلى هناك..

ها.. لقد وصلت، أووه.. ماهذا؟! هل دخلت إلى عالم الأساطير؟ أواقع ما أنا فيه أم خيال؟ أم تراني فقدت البقية المتبقية من عقلي لأجن تماماً؟

هكذا حَدَّثَ إبراهيمُ نفسه وهو مَشْدُوهُ تَمَامًا بما يراه، عندما وجد نفسه فجأةً على مشارف قصر أسطوري من قصور ألف ليلة وليلة، تعلوه قبابٌ ذهبية، وتحيطه أسوار رخامية ذات نقوش ومُجسمات نحاسية غاية في الإبداع لم ير لها مثيلاً من قبل، ولم يسمع بمثل روعتها إلا فيما يروى عن الأساطير الإغريقية...

وما إن وطأت قدماه أمام تلك البوابة النحاسية المهيبة، المحاطة بتمثالين عملاقين كأنهما يسكان بها، والتي يزيد ارتفاعها عن ارتفاع طابقين - حتى فُتحت على مصراعيها، وبدا التمثالان في وضع الترحيب به، وكأنهما يدعوانه للدخول، ليجد نفسه أمام ممر رخامي أسود شديد الإلتماع تتلأأُ عليه ألوان مُصدفة براقّة مبهرة، وتنعكس عليها الإضاءات الزرقاء التي تُزين مدخلَ القصر ذي السلام الرخامية بلون الممر الأسود، ومحاطة من الجانبين بأزهار كريستالية متدرجة الارتفاعات، تنبعث منها إضاءات ملونة لتعكس إضاءاتها الخافتة على جانبي القصر من الأسفل، وتزداد خفوتاً كلما نظر لأعلى القصر الذي بدت قبابه كأنها تعانق السماء، مما أضفى على القصر غموضاً ومهابة جعلت قشعريرة تسري في جسده كلما نظر إليه.

دَلَفَ إبراهيم إلى بهو القصر بلا وعي أو تفكير مسبق لما قد يقابله في الداخل، كان يشعر أنه مدفوع للدخول دفعًا، وما إن وجد نفسه في بهو القصر ذي الأرضية الكريستالية البراقة المضيئة بألوانٍ خافتة حتى أضيئت كل أنوار الثريات الكريستالية العملاقة المتدلّية من القباب المفرغة في أعلى الأسقف لتظهر الجدران القائمة اللون المنقوشة بفخامة باهرة بالألوان المتداخلة وتعلوها المرايا العملاقة ذات الأطر الذهبية التي تعكس صورته في كل مكان، وغلّقت بوابات القصر تواءً، وعُزفت موسيقى (الفالس) المميّزة وكأن الأوركسترا كانت في انتظار دخوله ليبدأ الاحتفال ترحيباً به ومقدمه، التفت إبراهيم لصوت وقع أقدام أنثوية تهبط على درجات القصر، فإذا بأميرة أسطورية بارعة الجمال ترتدي ثوباً من أثواب أميرات ألف ليلة كأنها نسج من الماس من شدة تألّؤه، وتزدان بإكليل من الزهور البيضاء والماس واللؤلؤ يعلو جبينها، وتتدلى منه اللآليء منثورة بين خصلات شعرها المنسدل على كتفيها والمتناثر في دلال حتى أسفل ظهرها ليزيدها جمالاً ورقّة وأنوثة، وإذا بتلك الأميرة تشير بيدها إلى إبراهيم ترحيباً به... ولم يفق من ذهوله إلا بذهولٍ أشد عندما بادرت به قولها :

(لقد تأخرت كثيراً يا إبراهيم وأرهقتني جداً حتى لبيت دعوتي يا عزيزي)

ثم ابتسمتُ له ابتسامَةً رقيقةً ناعمةً تفيض أنوثَةً ودلالاً، ونظرتُ له بطرف عينيها وهي تخفض رأسها في حياء أنثوي آسر جعله يتلعثم، ولا يجيد ترتيب كلماته، تلحُّ عليه الكثير من الأسئلة التي لم يحجبها عن القفز من بين شفتيه إلا احترام هذا الجمال الطاعي الذي وجد نفسه فجأة في حضرته...

"... فالصمتُ في حرم الجمال جمال "

obeikandi.com

(٣)

أَحسْتُ (قُولَار) بارتبأكه فاقتربت منه تسبقها رائحة عطرها
النفاذة التي تمتاز فيها روائح الفاكهة بالثانيليا وأخشاب الصندل
بالعود الهندي...

ذلك العطر الذي شعر معه إبراهيم أنه انتقل إلى عالم آخر من
السحر لم يألُفه من قبل ("فالأنف" تعشق قبل العين أحياناً).
وضعت (قُولَار) يَمَنَاه بين يديها، وأومأت برأسها وأغمضت عينيها
مرجبة به فأغرقتة في ارتباك لذيذ.

استرسلت في حديثها بصوتها العذب الذي يشبه دقات (البيانو)
مع موسيقى (الثاليس) التي تُعزف منذ لحظة دخوله لهُوَ القصر
وكانها موسيقى تصويرية للحدث المهيّب...

• لم تجبني يا حبيبي... لماذا تأخرت؟

انتظرتك منذ زمن... أحترق شوقاً للقاء بك وحديثي معك.. أهكذا
تردّون حديث المُحب في بلادكم؟... قُساء أنتم حقاً !

.. قالت عباراتها تلك وهي تكاد تلتصق به من فرط قربها منه مما زاد ارتباكها، فأجاب بصوتٍ خفيضٍ قملؤه الحيرة :
• تأخرتُ؟

حديث المُحب؟ بلادنا؟ أكاد لا أفهم شيئاً... وأكاد أجزم أنك فيما يبدو تظنينني شخصاً آخر..

قاطعته بسرعة :
• بل أنت وليس سواك، فالقلب لا يُخطيء حبيبه...

(إبراهيم دياب الطيب) مهندس الإلكترونيات والمتخصص في البرمجيات ونظم المعلومات، ذلك النابغة الذي عرقله نبوغه عن الاحتفاظ بأي وظيفة نظرا لذكائه الذي يُشكل خطرا على جميع من يرأسه، ويعيق ظهور منافسيه...

لذا كان لابد من إقصائك، بل وهدمك وسجنك داخل نفسك ليكمل الجميع مسيرتهم، أليس هذا ما حدث؟.. ما أغرب عالمك يا إبراهيم.. وما أغربك داخله!

• أتعرفين عني كل هذا؟

• وأكثر إن أردتَ سماعَ المزيد...

• لا، أرجوك.. كفى.. أفضل الاحتفاظ بمسافة داخلي أشعر بحريتي من خلالها، لا أحب فكرة أن أكون عاريًا ومُخرقًا من الغرباء كمن يسكن بيتًا من زجاج..

ضحكت ثولار ضحكة مجلجلة زادته ارتباكًا، وقالت في استنكار :
• غرباء !! لك هذا.. ثم استدركت متممة "حتى الآن".

لقد أدركتُ بذكائها الأنثوي وبطبيعتها النارية وبقدرتها على قراءته من الداخل أنها قد اكتسبت أرضًا في معركة عليها ألا تخسرهما وأن تتقدم نحو قلبه بحذرٍ وجرأة في آنٍ واحد... يا إلهي ! إنها تلك المعادلة الصعبة التي تبرع فيها تمامًا وتستمتع بأدائها..

ستنهار جميع قلاعها عما قريب، هي ليست على عجلٍ من أمرها؛ فهي تعرف متى ترمي لتصيب..

باغتنه في دلال :

• ما رأيك لو تراقصني؟ أظنها المرة الأولى التي تدعوك فيها فتاة جميلة مثلي لمراقصتها.. أليس كذلك يا سيدي؟

• بل إنها المرة الأولى على الإطلاق يا سيدتي الفاتنة، فأنا لم أراقص إحداهن في حياتي من قبل.

علت ضحكاتها المبالغ في دلالتها، وهي تداعبه : حقاً؟!.. يا لي من
محظوظة إذن..

فأجابها بسرعة وهو يمسك بيديها لبدء الرقصة قبل أن تغير
رأيها :

• ولكنني شاهدتُ الرقص في الأفلام من قبل.. وكم راقصت
نفسي في المرأة... قالها وقلبه يرقص من فرط السعادة الغير
مبررة ونظر إلى عينيها الساحرتين متسائلاً : من أي عوالم
السحر أتيتي إلي؟

فأجابته مداعبة :

• ربما استيقظت اليوم وتركت باب أحلامك مفتوحاً فأتيئك منه.

رقصاً وكأنهما قد ولدا يرقصان.. أخذتهما الموسيقى ليحلقا معاً فوق
الغمام ويسافرا إلى كل الدنيا، وما إن انتهت الرقصة
الرومانسية حتى لاحظت ثولار ارتباك إبراهيم وذهوله؛ فبادرته
بالحديث لتأخذه من ارتبাকে :

• أليس الجو بارداً هنا؟ ألا ترغب في تناول مشروب دافئ؟ ما
رأيك؟ هيا لنحتسي القهوة بالداخل، ونتجاذب أطراف الحديث
فلدينا الكثير لنحدث فيه معاً يا عزيزي، أخبرني أولاً.. كيف
حال قطتك الجميلة موكا؟ قد تكون قلقةً عليك الآن لتأخرك في
العودة إليها.. لا بأس فليديها من الطعام والشراب ما يكفيها لا

تقلقُ بشأنها.. آه كم هي محظوظة تلك القطة ! تنعم بالحياة معك وتحظى برؤيتك دوماً...

تسمر إبراهيم في مكانه مذهولاً لمعرفتها بأمر قطته واسمها أيضاً ، يسائل نفسه من تكون تلك الحورية الفاتنة التي تسكن الضياء في قلب الصحراء ! وهي تجذبه من ذراعه نحو قاعة مجاورة للبهو ذات باب خشبي مهيب عتيق تزينه نقوشٌ بارزة لأزهار وفروع أشجار متداخلة.. قاعة مترامية الأطراف أضاءت الشموعُ أركانها فور دخولهما إليها لتظهر جدرانها ذات اللون النبتي القاتم وقد نُقشت بإبداع فريد، وتتخلل نقوشها المرايا المذهبة واللوحات الزيتية البالغة الروعة التي تضيؤها الشموع المعلقة على الجدران في شمعدانات نحاسية عتيقة، وقد وُزعت بعناية فائقة لتُمن عن ذوقٍ مبالغ في رُقيه.

كان ينظر بانبهار شديد لكل ماحوله ويلج على عقله سؤالٌ غريب.. ترى إلى أي العصور رجع؟ وفي أي المُدن هو الآن؟ ما هذا المزيج الغريب بين فخامة العصور الوسطى وسحر عصور الألف ليلة؟

ترى.. أمازال يهذي وتستبد به تلك الهلاوس التي حذره منها الطبيب؟، ظلت التساؤلات داخله بلا إجابة شافية ولكنه منهمكٌ في ذهوله بما يرى.

obeikandi.com

((٤))

على مقعدين وثيرين مصنوعين من الخشب المُذهب ذي النقوش البارزة، والأحافير الغائرة، المرصّع باليواقيت الحمراء القانية والزبرجد الأخضر الرائق ومُوسدان بوسائد يكسوها المخمل الأسود الحالك المُطرز بالخیوط الذهبية الفاخرة بجوار مدفأة تبدو كأنها صُنعت من الذهب الخالص ورُصعتُ بجواهر ولآليء فريدة في شكلها وألوانها يتصاعد منها رحيق البخور مصحوباً بدفء نيرانها...

هناك.. جلس إبراهيم وقلوار يحتسيان القهوة الممزوجة بأفخر أنواع الحبّان وجوز الطيب والزنجبيل والتوابل الهندية، ويأكلان الكعك المغطى بالشوكولا الساخنة والكراميل وحبّات الفستق واللوز المحمص.. ♦

وسط هذا السحر الشرقي الفريد الذي تميّزت به هذه القاعة، وتلك الموسيقى الهادئة ذات الطابع الآسيوي، والإضاءات الخافتة الحاملة، شعر إبراهيم باسترخاءٍ لذيذٍ يُدغِغ أحاسيسه المضطربة ويُخدّر أعصابه التي أتلّفها التوتر الدائم طوال السنوات الثلاث الأخيرة من حياته.

وهكذا استسلم لأحاديث ثُولار بعدوبيتها، وشعر معها أنها تغوص داخل نفسه بمجرد أن ينظر إلى تلك العينين الكحيلتين، يشعر وهو يحادثها أنها تنفذ إلى حيث زوايا روحه المعتمدة التي كانت مناطق مُحرمًا على من سواها ارتيادها.

لم تسترسل ثُولار في الحديث كثيرا بقدر ما أفسحت له المجال ليتحدث، وتركت له العنان ليُبوح بما يشاء ويزيح عن صدره أثقالاً أرهقه طول حملها، كانت تجيد الإنصات إليه وإظهار الاحترام لما يقوله ويُبوح به كما لم يفعل سواها من قبل، تُغير دقة الحديث بذكاء لإتجاه آخر كلما شعرت باضطرابه أثناء الحديث ليعود له هدوؤه من جديد، فقد كانت تريده رائق الذهن، خاليا مما علق بقلبه من روااسب مزعجة لتمهد التربة جيّدًا لبذورها التي ستغرسها فيه بروية وأناة..

تحدّث إبراهيم...

تحدّث حتى كاد أن يشعر أن كل ما يطبق على صدره يخرج مع أحاديثه ويتبدد مع رائحة البخور..

تحدّث عن خيياته فيمن حوله، وخُذْلانه فيمن أحبهم، تحدّث عن نجاحاته التي تبددت كلها بلا مُبرر مُقنع على صخرة واقع لا يرحم، وكأن نبوغه وتفردّه وعبقريته التي وهبها الله له كانت نقمة عليه أكثر من كونها نعمة.

تحدّث عن كل ما يعنّ لنفسه الحديث عنه حتى عن كراهته للحديث وإدراكه لمدى عبثية الكلام وانعدام جدواه، فما من أحدٍ يستطيع فهمه في هذه الحياة... تحدّث بقدر ما التزم الصمت لسنوات....

استطاعت ثولار أن تسحبه بهدوء إلى عالمها، وهي ترتدي ثياب الملائكة في تلك الليلة وما تلاها لتتقن اللعبة وتطيح بقلبه المتعب في هواها.. وأيّ هوى هو؟!.. إنه هوى لا يُبقي ولا يذر.

وكيف لا؟؟ فلديها ما لن تُباريها فيه بناتُ الإنس ولو مشينَ على الماء. ليس حسناً وفتنةً فحسب، بل قدرتها أن تجري منه مجرى الدم. لقد راهنت عليه، وأعدّت عُدتها وجهزت خُدامها وسخرتهم جميعاً لتحقيق ما أرادت ولن تقبل أن يوقفها شيء، أو أن يهزمها ذلك الإنسي البائس، لقد ابتلع بنجاح الطعمَ الأول، وسيبتلع ما تلاه كما أَرادَتْ...

ومن ذا الذي سيصمد أمامَ كلِّ تلك الفتنة الممزوجة بالحكمة والدهاء؟ من ذا الذي سيصمد أمام من درسه من الداخل، وأمسك بتلابيب نقاط ضعفه وأحكم القبضة جيّداً؟ وأيّ مهرّبٍ سيلوذ به من حبٍ سيحتاجه كما الإعصار؟...

لا بأس من قصة حب مع إنسي قصير الأجل في إحدى مراحل حياة الجنيات الممتدة طالما سيحقق الهدف، وسيعيد لمملكة الجان ما سلبه منهم أسلافه من بني البشر...

سينفطر قلبه؟ سيجن، بل ربما سيموت كمداً إن لم يحتمل؟ لا بأس.. فكلهم موتى ونحن الخالدون المنظرون.. فليدفع جزءاً يسيراً من دين أجداده أبناء آدم أجمعين، ذلك العدو الأحمق الأبدي الذي جعل شقائي و شقاء قومي أيضاً أبدياً.

... هكذا فكرت ثولار مليا وأتخذت قرارها وحسمت أمرها أن تنال منه ما أرادت، إنه الآن أسير الفتنة التي سيرتشفها قطرة قطرة حتى تمتلك كل خلية فيه وتضعه بين براثنها.

((٥))

كان لهذا السحر الشرقي الغامض الذي يغمر المكان وهذه الفتنه والأنوثة الطاغية التي تمثلت في قُولار، وهذا الشقاء الذي حمله إبراهيم بين جوانحه لسنوات -أثره في سرعة انهيار حصونه، والتي لم تكن مَنِيعةً أبداً، ليجد نفسه غارقاً في العشق حتى أذنيه لتلك الجنية الشيطانة التي لم تُفصح له حتى الآن عن حقيقتها المُفزعَة، ومازالت تَتَحَيَّنُ الوقتَ الذي تشير إليه بتلك الحقيقة بعد أن تتمكنَ من قلبه... مازالت تراود أحلامه وتتمنّع عليه بحياء أنثويٍّ ودلالٍ مفتعل يُلهب نيران عشقه أكثر...

ماكرةً هي.. تعي جيداً متى تكون تلك اللحظة التي سيرفع فيها رايات استسلامه بلا أدنى مقاومة، بارعةً هي في كي قلبه بلهيب فتنتها بهدوء، وتؤدّة حتى إذا اكتمل نضجه هدأت النيران، ولكن لم تطفئها ليبلغ في هواها حدّ الاهتراء؛ فتكتمل لها السطوة عليه كما أرادت لتصنع منه سلاحاً يفتك ببني جنسه من البشر وهو مُغمَضُ العينين مسلوبُ الإرادة..

راهنّت على إحباطاته وإخفاقاته التي كبّلت حياته بالهموم والشقاء والوحدة، راهنت على سلبه قلبه ولبّه والتحكم في أهوائه وميوله ونزعاته التي تراها داخله بوضوح وتلمس مواضع التحكم فيها.

راهنّت على سطوتها وقدرتها على قيادة عقله بنفسها، والتحكم بقراراته التي ستنبع منها وحدها ومن وساوسها له، بل ستُشرف أيضًا هي وخُدّامها على تنفيذ ما أرادت منه.

ترى.. أيّ هذه الرهانات سيحالفها فيها الحظّ لتفوز بها، وأيّها سيخالفها فيها التوفيق؟

واثقةٌ هي من قدراتها الا محدودة لفرض الهيمنة الكاملة عليه... لا عجب فهي التي اختلقت حوله كل ما كبّله من هموم لتنفرد به وتفتك به متى أرادت، لقد كان طبعيا، أن تسير حياته في سلام قبل أن يقع اختيارها عليه منذ سنوات؛ ففضّت الناس من حوله، وجردته من نجاحاته وأفسدت علاقاته بمن حوله، وزرعت اليأس داخله، ودفعته دفعًا ليختار العزلة التي فرضتها هي عليه كاختيار وحيد إجباري، وحاصرتة في صحّوه ومنامه حتى يتسنى لها شدّه رويدًا رويدًا إلى عالمها الغامض لتفعل به ما يحلو لها بعد ذلك وقد زرعت داخله العداء لمجتمععه، والنفور من سائر البشر.

وضعت خطتها بذكاء وحنكة لتحكم قبضتها عليه، وكيف لا وهي حفيذة إبليس، ذاك الذي تحدّى ربّ العالمين وكفر وفسق وفجر

وأقسم على نفسه متوعداً بني آدم أجمعين بقوله : ((لأُقْعِدَنَّ
لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ))

وكما تعي شولار قدراتها اللا محدودة فهي تعي كذلك قدرات
عدوها البائس ونقاط ضعفه التي تتسلل إليه من خلالها، كما تدرك
جيداً ثبات عقيدته.. تلك المنطقة الشائكة التي تبذل قُصاري
جهداً لتلتف حولها؛ فعقيدته ليست من ضمن مآربها في هذه
اللعبة، هذه المرة الأهداف مختلفة فهي تحارب الآن من أجل
وطنها، من أجل سطوة نفوذ مملكتها الخالدة.

إنها حربٌ مقدسة أيضاً لا تقل قداسةً عن حرب العقيدة الدائرة
منذ آلاف السنين، ولكن لا بأس من إيقاعه في بعض المعاصي
كمكاسب جانبية إضافية فهي تمتلك السلاح ذاته، فلم لا
تستخدمه في حربها المقدسة؟

خاصة وإن كل معصية سيقترفها ستزيد من سطوتها عليه وتوهن
مقاومته لها، إذن... لا بأس من ذلك أبداً..

obeikandi.com

((٦))

في قصر الملك (أبنان) ملك الملوك ، والقائد الأعلى لجحافل جيوش الجان حيث مقر قيادة مجلس الحكماء ، وأباطرة الدهاء ، ذلك القصر المشيد على الماء ، منذ عهد الملك النبي سليمان ، وفي قاعة الاجتماعات الكبرى السوداء انعقد اجتماع استثنائي لمناقشة خطة قولار التي خرجت عما هو معهود ، وحطمت كل القيود ، ونقضت بها المواثيق والعهود ، التي وضعها حكماء وملوك الجان ، منذ سالف الأزمان .

أرادت قولار أن تحصل على مقعد في مجلس الحكماء لتكون إحدى خدام مملكتها وصناع القرار ، فهذا هو سبيلها الوحيد لتتوج كأحدى ملكات الجان ، وكان عليها أن تُقدّم عملاً خارجاً يتيح لها ذلك المقعد ، فتقدمت بخططها لإنقاذ مملكتها المترامية الأركان ، ذات البهاء والزهاء والعنفوان ، من جور بني الإنسان وعبثهم بذخائر ممالك الجان ، وولعهم بتسخير الخدام منهم ليأتوا لهم بالمال والالآء والمرجان ، فيزداد غزو العمران واقتحامهم المستمر لأراضي مملكة الجان ، وتشويه جمالها وهدوئها بضجيجهم وزخم حياتهم وفوضويتهم اللامتناهية...

إن بني البشر مخلوقاتٌ مزعجةٌ، لم تجلب لعالم الجانِّ سوى الشقاء والأحزان، منذ خُلِق أبوهم آدم ليطردوا بسببه من أعالي الجنان، ويُلعنوا في كل الأديان حتى تنتهي الأزمان، فإذا كان نعيمهم سيفنى، وينتهي بانتهاء الأزمان، فلم يَعر صفو حياتهم وهنائهم بنو الإنسان!

وقف الحكماء وقادة الجيوش وكبار العلماء وحراس العهود صفين بترتيب مراكزهم من الأعلى للأدنى على جانبي المائدة المستطيلة الممتدة لعدة أمتار، يرتدون العباءات السوداء المهيبة ذات النقوش والكتابات المتداخلة المطرزة بخيوط الذهب والفضة، تتدلى على صدورهم القلائد ذات التعاويذ والأحجار المنحوتة على هيئة الجماجم البشرية المتباينة الأحجام، وتعلو رؤوسهم التيجان التي تعبر عن مكانة كلٍ منهم في مجلس الحكماء ودولة الشيطان...

إنهم جميعاً واقفون الآن في انتظار دخول قائدهم الأعظم ليبدأ الاجتماع، ولن يجلسوا حتى يشير إليهم بصولجانه الذهبي المنحوت على هيئة أفعى الكوبرا، عيناها من الجوهر الأحمر، تعلو رأسها ماسة زرقاء تضيء إذا أشار بها وأراد أن يُنذر، ليعلم الجميع حينها أن هناك أمراً أدهى وأخطر..

ها قد اقترب الملك من القاعة وغضبه أمامه، وخيم الصمت على الجميع وبدأ إنصاتهم لوقع أقدامه، يبدو أن الأمر جلل؛ فضوء الماسة الزرقاء يسبقه إلى القاعة، ترى.. ماذا ينتظرنا من الأنباء والأخطار في تلك الساعة..!

هذا ما دار في وجدانهم وهم يتربعون دخوله في حذر، لتدق النواقيس لحظة دخوله مُنذرةً بالخطر.. لكنهم حكماء.. امتازوا بالمكر والدهاء، لا تعبثُ بمشاعرهم أعتى الأنواء.. ولا تؤثر على صفو أذهانهم تلك الأجواء..

فهم يمتازون بالثبات والصمت الحكيم وخبرة صقلها مرور السنين، مارسوا فيها إتقان عجيب حبك المكائد وإشعال الحروب وسفك الدماء وتشريد الشعوب... فلکم ثملوا من احتساء نخب المراق من الدماء التي أذكوا بها نيران الحروب!

إنهم حراس الشر وخُدامه، مواثيقهم عُقدت منذ آلاف السنين، راسخة مواثيقهم كرسوخ الأرض في مدارها، أهدافهم مُحددة، وأبوابهم مُوصدة..

لا يُعيق وصولهم لأهدافهم عائق، ولا يشنيهم عنها أي مارق، ولا يهز عروشهم ويزلزلها إلا ثبات قلوب المؤمنين، ذلك هو عدوهم المبين.

فأَيُّ قُوَّةٍ تلك التي وضعها الله في قلوب المؤمنين تهتز لها عروش
الشياطين، و ليس لهم عليهم سلطان مبين؟!!

إذن.. فليس لنا من حيلة أو وسيلة إلا دخولنا إليهم من أبواب خَفِيَّةٍ،
لا يدركون معها أنهم يَنْقُذون عهودنا الأبدية، هكذا كُتِبَت الوثيقة
الشیطانية وَخُتِمَت بِأَخْتَامٍ أبدية، وسرت قوانينهم بين البرية.

دخل قائدهم الأعلى تعلو وجهه علاماتُ الغضب، الذي أشعله
توقيت حيلة قُولار التي رآها ساذجَةً وتفتقر للحكمة، بل و تنذر
أيضًا بالخطر.. طيشٌ لا يليق بأميرة في مملكته، ولا يليق بوالدها
(الملك قطربان) - قائد أبالسة المشارق - ذي الخبرة الفائقة
والبراعة في إشعال الحروب والمعارك، كيف سَوَّلَتْ لها نفسها أن
تعبث مع إنسي بئس هالك، وتنتظر منه أن يُنقِذَ لها مملكة
الممالك، الراسخة الأركان عبر الأزمان والتي لم يدنس قدسيتها قط
أي إنسان؟؟ هل فقدت عقلها وضاع منها الاتزان؟؟

هكذا بدأ الملك أبنان حديثه الغاضب الشائر بصوت كالرعد هَادِرٍ،
استقبل كبير الحكماء كلامَ الملك أبنان بابتسامة ملؤها الدهاء
وتحدث بهدوئه الحكيم، وصوته الرصين قائلاً :

• مولاي.. دَعَهَا تعبت ودَعْ عنك الغضب والقلق، ولا تنس أنها في سن الشباب، وهكذا هم دومًا الشباب، يظنون أنهم أتوا بما لم يخطر على الألباب، يأخذهم الحماس وعلو الهمة، حتى يدركوا كيف تُكتسب الحكمة... صدّق يا سيدي العجوز الحكيم ولا تقلق، فكم من عبثٍ للشباب، أدركنا به من المكاسب ما فاق تصور الألباب.. إنها نخشى عليهم من سوء العواقب، ولكن تفيدهم الأخطاء والتجارب.

• ازداد غضب الملك أبنان من هدوء كبير الحكماء فقال باستنكار :
ماذا تقول أيها الرأس الأعظم؟ أنتستين بخطورة التوقيت؟ ألدنا من الوقت ما يسمح بمثل هذا العبث؟

نحن الآن على مشارف حرب وجُودية نهائية ستشتعل قاب قوسين أو أدنى وجميعنا مسخر لها، وننتظر الإشارة ببدئها، أعددنا لها منذ مئات السنين، إنها حربُ الحسم على هذا الكوكب.

أليس ما لدينا أهم بكثير من عبثها بإنسي بائس، أعجبتهَا وسامته، وراق لها ذكاهه الإنساني المحدود؛ فأرادت أن تحقق من خلال عبثها به ومعه مآربها، وترضي غرورها ورغباتها وحبها للتملك، وهي تحاول إقناع نفسها وإقناعنا أنها تقوم بواجب مقدس! أتصدّقها وتقبل هراءها أيّها الرأس الأعظم؟؟

أجاب الرأس الأعظم بهدوئه المعتاد:
• مولاي ملك الملوك أبنان..

إِذْنُ لَهَا بِفَيْضِ كَرَمِكَ، وَسَعَةِ صَدْرِكَ، وَهَبْ لَهَا مِنْ نَبْعِ حِكْمَتِكَ مَا يَتِيحُ لَهَا خَوْضَ التَّجَرُّبَةِ، وَامْنَحْهَا وَقْتًا كَافِيًا بِحِلْمِكَ عَلَيْهَا وَفَضْلِكَ.. لَعَلَّهَا تَثْبُتَ لَنَا جَمِيعًا قُدْرَاتِهَا؛ فَتَنَالَ بِمَا تَجْنِيهِ رِضَاكُمْ الْمُنْشُودُ..

مولاي... قطرات الماء تفتت الصخر بهدوء بينما يلتفت الجميع نحو حامل الفأس.. فلنفعل كما عودتنا دومًا بحكمتك فنتمهل ولا نتعجل...

قاطعہ الملک أبناں قائلًا :

• نتمهل ولا نتعجل؟؟ كلا، أيها الرأس الأعظم، بل ستكون لديها فرصة واحدة ذات مهلة محددة.. فلا أملك وقتًا لمثل هذا العبث ولولا شفاعتك لها ومكانة والدها عندي ما منحتها إياها، فإن نجحت وإلا سجننتها في ياقوتة مرصودة تليق بجرمها، وألقيتُ بها في قلب صندوق العتمة فيأخذها عشرون من المردة من ذوي القلوب الصلدة فيهبطون بها إلى كهف الأشقياء في أعماق محيط الظلام، لاتخرجُ منه ولا ترى ضوء النهار إلا إذا سالت الدماء البشرية فملأت أنحاء البرية، وتحولت البحار إلى دماء بلون تلك الياقوتة، حينها فقط يفك أسرها ويستطير شرها لتعود شيطانة محظية، أعمالها عندي مرضية، وهذا هو العهد المشروط، سيختم الآن ويبرم داخل حلقة خاتم تعلوه تلك الياقوتة المرصودة؛ فإما أن تنجح ثولار في مدتها المحدودة، وإلا سيأتي بها الحراس مكبلة في القيود لتسكن تلك الياقوتة، ثم أردف قائلًا :

لقد تشاورت مع والدها الملك قطربان، ولاقى القرار منه كل استحسان، فلن يسمح لابنته بدلالها وطيشها أن تقلل من هيئته بين ملوك الجان.

وَجَمَّ الجميعُ أمام ثورة ملك الملوك أبنان، وقراره الذي لا مفر من تنفيذه وإعلانه في جميع أرجاء ممالك الجان، فختَمُوا بأختامهم العهد في بضع ثوانٍ، وعندما تمَّ له ما أراد خَفَّتْ أنوارُ الماسة الزرقاء حتى أطفئت في أمانٍ، وساد الهدوء أرجاء المكان، انصرف الجميع يَحْمِلُونَ لِفَوْلَارِ الحذر ولا يملكون لها إلا السُلْوان، فقد باتت واسمها مرصود لتلك الياقوتة، وفرصة نجائها منها موقوتة.

فاتفق فريق منهم على معاونتها لتنجو من ذاك المصير، بينما رأى فريق آخر أنها عابثة مغرورة تستحق التعزير.

obeikandi.com

(٧)

تمر الليالي على إبراهيم في قصر الأوهام الذي شيدته له
قولار، وهو مأخوذٌ بذلك السحر الذي أحاط به من كل جانب،
يشعر أنه قد ابتعد كثيرا عن ذاته وكأنه يُبحر في أعماق بحر ما
له شطآن، لا يدري كيف وصل إليه ولا يبحث كيف يخرج منه، بل
هو حقيقة لا يتمنى أبداً أن يخرج منه، فتلك الفاتنة قولار تحيطه
بألوان من سحر الغرام ليلَ نهار، يحيا معها مشاعر وردية لم
يتخيل أن يحياها يوماً.

وقولار ذات أنوثة لا ترحم، تستخدم أقدم وأفتك أسلحة الأنثى، ذلك
السلاح الذي لا يبلى على مر الدهور رغم سذاجته، أخرجته من متاهة
همومه ومتاعبه كما لو أنه قد وُلد من جديد؛ لتدخله في متاهة هموم
جديدة من نوع آخر، لم يعتد يوماً أن يطرق أبوابه أو يطاء أعتابه، فهو
على الرغم من جراته ووسامته وذكائه وخفة ظله مع رزاقته التي
كانت تجذب الكثيرات إليه، لم يعتد حياة المُجون من قبل ولم ينغمس
في شهواته ويترك رغباته لتسيطر عليه وتستبد به كما هو الآن مع
قولار، ما باله اليوم بهذا الضعف أمام سحرها وعذب كلامها؟ ما الذي
انتابه؟ هل تكالبت عليه همومه وإخفاقاته إلى هذا الحد ففر هارباً
إلى عالم قولار؟ أم أصابه مس من الجان؟ أم كلاهما..

استيقظ إبراهيم ذات صباح على روائح الورد والبخور ليجد نفسه وقد أمضى ليلته غارقاً بين أحضان ثولار يطارحها الغرام في ليلة مشتعلة كالحمم، وبقدر ما أفزعته فكره وقوعه في المحذور المحظور بقدر ما أسرته فتنها، ولم يستطع مقاومة سطوتها، وطغيان أنوثتها التي انهارت مقاومته أمامها؛ فأشعلته حتى فقد زمام الأمور، وذاب بين يديها كتلج صهرته النيران..

فعندما أته ليلاً عند المدفأة بثوبٍ حريريٍّ فاتنٍ يُبرز من مفاتها أكثر مما يخفي، يشتعل بلونه الأسود الفاحم المشرب بحمرة فدا وكأنه جمر يشتعل على جسدها المرمرى ليصل لظى لهيبه إلى قلب إبراهيم فيحرك فيه كل ما كان ساكناً، ويلقيه بين أحضانها بلا مقاومة ..

لم يكن ذلك فحسب هو ما جعل إبراهيم طيعاً بين يديها بالطبع ، ولكن قوتها الخفية تلك التي اخترقته بها لتصل منه إلى كوامن الروح، ونالت منه بدائها؛ ليجد روحه وقد تعرت تماماً أمامها لتنظر إلى ما بداخله كمن يرتدي عدسة مكبرة ليرى بها دقائق الأمور التي لا يلتفت إليها أحد.

مكسبٌ جانبي ليس هو هدفها ولم تسع إليه ولكنه أحد سبلها الناجحة لبلوغ الهدف؛ فالشياطين هم الشياطين حتى وإن ارتدوا أثواب الملائكة، وهكذا بدأت اللعبة...

(٨)

حقيقة.. يبدو أن المهلة المحدودة التي قيدها بها مجلس الحكماء هي ما حفّز ثولار للإسراع بمهمتها والإيقاع بإبراهيم في شباك غرامها والمُضي قُدماً في تنفيذ خطتها من خلاله؛ فجندت كل أسلحتها لتحقيق مرادها، وقد تمت لها خطواتها الأولى بنجاح فائق وعليها الآن أن تسابق الوقت وتنب لتنفيد خطواتها الثانية.

فتحت ثولار عينيها الناعستين في ذلك الفراش الوثير الذي طارحته الغرام فيه لا يستر جسدها الوردي إلا شرشف من الحرير النبتي اللامع ، لتجده ناظراً إليها شارد الذهن مُشتت الفؤاد، وهي تدرك جيداً الآن مدى حيرته البشرية وترى اشتعال الأفكار داخله حول مصير علاقة كهذه، يتفكر فيمن هي تلك التي أدمن رفقتها، وغرامها ولا يعرف عنها سوى اسمها الغريب؟ وكيف يستطيع أن يربط حياته بها وهي على ما يبدو ذات جاه ومال وسلطان، وهو مجرد إنسان بسيط عادي مثل باقي البشر، بل إنه أيضاً بلا عمل ولا مستقبل واضح المعالم!...

رائع جداً... لقد كانت بانتظار تلك اللحظة تحديداً، لحظة إتيان الفكرة بعد ذهاب السكر ، لحظة انقضاها عليه بحيلتها التالية.

لحظة إيقانه بالوقوع في الحب وإدمانه لها، ورغبته في البقاء معها واستمرار تلك المتعة اللامتناهية، التي وهبتها له بلا قيد أو شرط مع شعوره باستحالة استمرار ذلك وصعوبته، وحين وقت انتشاله من أفكاره وحيرته، ودخوله معها إلى المرحلة التالية؛ فاقتربت منه بكامل جسدها المتقّد، وقد أيقنت تماماً أنها توشك على المضي قدماً لخطوتها التالية، وتساءلت في دلال ...:

• ما بال حبيبي ساهماً هكذا؟ ألم تسعد بغرامنا في أجمل ليالي عشقنا يا حياتي؟؟ ألم تعجبك قولا؟ ألم تسعدك قولا؟ ألم تشعلك قولا؟

(تساءلت بدلال أنثوي مبالغ فيه وهي موقنة تماماً من الإجابة)

• لا شيء... فقط أفكر في أنني... أحببتك وأظن أنني لست أهلاً لك، أظن أن الفارق بيننا أكبر من أن أخترقه وأخشى أن أكون قد أضرت بك بعلاقتنا هذه.. أنا لم أكن يوماً جسوراً بالشكل الذي يجعلني أسئ لأي امرأة عرفتها أو أضرها بأي حال، لم أخط يوماً حدودي.. فماذا انتابني تلك الليلة؟؟ لقد أحببتك أكثر من قدرتي

على الاحتمال.. كيف عجزت عن مقاومة ذلك السحر الكامن فيكِ
ولم أتفكر قبل أن أُوذيكِ؟

فأنا أبدًا لم أكن نذلًا أو ذئبًا بشريًا.. صدقيني.. لن أحتمل أن
أتسبب لكِ بآية مشكلة... ثُولار.. أنا على أتم الاستعداد لمواجهة
الجميع من أجلكِ، فلن أترككِ تواجهين الأمر وحدكِ أبدًا، وأنتِ
على ما يبدو لي ذاتُ حسبٍ ونسبٍ... حقيقةً لا أدري كيف
حدث كل هذا؟ كيف؟.. وكيف تماديتُ هكذا دونما تفكير؟

تساءل بنديم؛ فأدركتُ أنها فرصتها وقد أتت لها طائعة على طبقٍ
من فضة فبادرته بنبرة يمتزج فيها الحزن بالهدوء الحاسم كمن
تلقت لتوها صفةً مُهينةً من وُقع كلماته عليها متسائلة :

• إبراهيم.. حبيبي.. ماذا ظننتِ بي؟ هل راود خيالك أنني
امرأة سهلة المرام يا إبراهيم؟؟ هل تراني إحدى البغايا المتهنكات
ينالني من يشتهيني كفاكهة ملقاة في قارعة الطريق؟...
إبراهيم... أنا زوجتك، فامرأة حرةٌ مثلي لا ينالها إلا زوجها.. ولكن
! في الأمر سر علي أن أخبركِ به الآن..

• سر؟ أي سر يا ثُولار؟

• اسمعني جيدًا من فضلك.. لقد خَشِيتُ أن أطلعَكَ بحقيقتي
منذ البداية، فتخاف مني أو تفزع؛ فأخسرك للأبد وأحرم منك، وأنا

العاشقة التي اخترقتِ القوانين وتحدّث عالمها من أجلك.. قالت
عبارتها الأخيرة بعينين دامعتين وصوت مُتهدّج بالبكاء أجادت
تلحين نبراته ليبلغ تأثيره عليه المدى الذي أرادته له، وارقت بين
أحضانه وهي تكمل حديثها استعداداً لما ستلقيه عليه، متسائلةً
في دلال :

هل أنا متيمة بك وحدي؟ ألا يجدُ غرامي صداه لديك؟ فضمها بقوة
نافيا عن نفسه ما ادّعته وأسرع بقوله :

بل أعشقك كما لم أعشق من قبل.. حتى إنني لا أدرك متى حدث
هذا ولا كيف حدث؟ ولكن ! ثولار... ماذا تعنين بأنك زوجتي؟
متى تزوجنا؟ وأيّ قوانين تلك التي اخترقتها وأيّ عالم ذلك الذي
تحدثته من أجلي؟ انتظري.. سأجيبُ أنا... فأنا يراودني شكٌ ما
أنني مريض بالسيكتزوفرينيا.. فهل من الممكن أنني أعيش
حياتين أنتِ في إحدهما؟

أجيبيني.. هل ثمة أمر أجهله عن حياتي؟

• بالطبع لا، إبراهيم.. أنصت إلي جيداً وحاول أن تتفهم..

لا أنت مريض، ولا أنا في الأصل إنسية من بنات حواء.

• ماذا؟ ((قالها بفزع ودهشة))

• نعم، تلك هي الحقيقة.. اهدأ.. ما أنا إلا إحدى أميرات الجان،
والدي ملك من ملوك الجان له مهابةٌ ونفوذٌ وسلطان، وما كانت
عائلتي ذات المقام الرفيع لتسمح لي بمقابلة إنسي مهما كانت
مكانته إلا وأنا بالفعل زوجته، فتلك قوانين عالمنا، ومنذ أن أحببتك
أخذت عائلتي علي أغلظ المواثيق ألا تراني إلا عندما تطأ
بأقدامك أعتابي.

لذا.. ما إن رأيتك في تلك الليلة تقف على مشارف مملكتي حتى
أيقنت أنها ليلتي وأنني قد واثقتني فرصتي؛ فأذن لي والدي
وشيد هذا القصر المهيب في ملح البصر وأضيئت مصابيحُه
وقناديله، وعزفت المعازف احتفالاً بزواجنا، ليعلم الجميع في أرجاء
جميع الممالك أن ابنة مليكهم قد تم زفافها لمن وقع عليه
اختيارها... ولكن ! كان شرط قومي قاسيا علي وحاسماً، وكان
في قبول الشرط مجازفةً بحياتي ولكنني !... قبلت، وحمدتُ
ربي أنك قد أتيت.

• وما هو ذلك الشرط؟

• لو أنك رفضت حبي لك وزواجي منك بعدما ظهرت لك سأعدمُ
حرقاً على رؤوس الأشهاد لما سببته من إهانة لجميع بنات جنسي
ومقام والدي.

• حقاً؟؟

• للأسف ! فما رأيك الآن؟

• أوتسألين؟؟ أحبك..

ابتلع المسكين الطعام وتنفس الصعداء فرحاً بأنه كما اعتقد وصورت له بدائها أنها مؤمنة بربه وأنه زوجها، وأن جميع الأمور تسير على ما يرام، فما من مشاكل سيواجهها بتلك العلاقة، كما أنه ليس بمريض كما كان يظن، وأيضاً لم يقع في إثم كبير، وإن لم يكن يوماً شديد التزمّت في دينه أو شديد الحرص أن يكون من أهل الصلاح والتقى، ولكن مما يبعث الراحة في النفس ألا يشعر الإنسان بالذنب، أو بالأحرى لا يغمس في الخطايا، لذا فقد قام متلهلاً من الفرحة يدور بها راقصاً في قلب الغرفة.

وبهذا اجتازت ثولار الإعلان عن حقيقتها بنجاح باهر، بل إن طريقته زادته قرباً منها ومكنتها من إحكام قبضتها عليه.

(٩)

بعد مُضي عدة أيام أخرى غرق فيها إبراهيم في بحورٍ من
عسل الغرام مع ثولار، بحارٌ ما لها من شطآن تمنى ألا يخرج منها
أبدًا... و لكن !

المُهلة لدى ثولار محدودة، وعليها أن تسرع الخطى نحو الهدف
الذي من أجله بدأت لعبتها؛ فباغتته بكلماتها أثناء جلوسهما في
الشفرة المظلة على حديقة القصر الغناء ، الممتدة على مرمى
البصر وكأنها قطعة هبطت من الجنة تجري من تحتها الأنهار، وتحفها
نوادِرُ الأشجار، وتمتليء بعجائب الثمار، فهمست له بدلالها المعهود :
• حبيبي.. وددتُ لو حجبْتُكَ عن العالم بأسره، واحتفظتُ بك هنا،
في مملكتي، لي وحدي.. ولكن! لأنني امرأة أحببت بصدق وذابت
عشقًا فيك من رأسها حتى أخمص قدميها؛ فقد قبلتُ التحدي الذي
وضعتَه لي عشيرتي وقررتُ أن أثبت لهم أنني جديرةٌ بثقتهم،
وأنني حقًا قد أحسنتُ الاختيار، وأن ذلك الإنسي الذي شغفني
حبًا وفضلته على أمراء وملوك الجان جدير بي، ومن خيرة بني
الإنسان، وجدير كذلك بمصاهرة والدي أحد أبرز ملوك الجان،
وعائلتي ذات الأمجاد والسلطان، بل أنه سيدٌ في قومه من بني

الإنسان... لذا.. فقد آن يا حبيبي الأوان أن تعود لعالمك لتصبحَ سيدًا في قومك.

• عالمي؟؟ أيّ عالمٍ تقصدين يا فلولار؟، ألا تعرفين أيّ عالمٍ بئسٍ أتيتك منه؟ ثمّ أيّ سيادة تلك التي تعينها لقومي؟

عالمنا يختلف كثيرا عن عالمكم.. حياتنا عصريةٌ بشكلٍ مُخيف.. وإيقاعات حياتنا تقطع أَوَاصِرَ الترابط بين البشر...ثم.. أخبريني لماذا لا تستمر حياتنا هنا كما نحن الآن؟ ننعم بالحب والسعادة في كل آن؟

تساءَلَ وهو يحوطها بذراعيه من الخلف، مُطَوِّقًا خصرها النحيل وهي تنظر من الشرفة بإتجاه الحديقة الممتدة على مرمى البصر، ثم أردف قائلاً :

كما أنني تغيبت عن ذلك العالم منذ مدة ليست بالقصيرة، وأخشى إن عدتُ الآن أن أجد الأمور ازدادت سوءاً..

ضحكت فلولار بدلالٍ تجيده ببراعة، قائلةً : حبيبي.. لا تقلق.

فما لا تعرفه عن أسرار عالمي كثير جدًا وأحد تلك الأسرار المذهلة أن عالمي لا تحكمه مقاييسكم الزمنية، بمعنى أوضح أن بين عالمنا وعالمكم فجوة من الزمن لا تخضع لتلك المقاييس التي

تعرفونها أنتم، لكنك عبرت إلي من خلال هذه الفجوة وستعود منها كما جئت.

• معقول؟

• هاهاهاها... بالطبع لا، ليس معقولاً يا حياتي نحن نأتي من فوق إدراك العقول... ببساطة نحن في حيز آخر من الكون لا تنطبق عليه مقاييس عالمكم ولا يخضع لحسابات أزمانكم...دعك من هذا الآن لاتشغل عقلك البشري به فالأمر قد يبدو لك معقداً نوعاً ما كالفرق بين عالم الروح وعالم الجسد... ثم أردفت مطمئنة له :
لا تخش شيء يا حبيبي ستجد في عالمك كل شيء على مايرام،
حتى طعام موكا وشرابها، كما أن عليك ألا تنس يا إبراهيم أن
نجاحك الذي أرومُ إليه وأتمناه مرهونٌ بوجودك في عالمك.

• و لكن !!

• ماذا؟

• أريدك معي في عالمي.

علت ضحكتها بدلال وهي تضمه قائلة :

وهل تظن أن أتركك وحدك؟.. لا يا حبيبي... فأنا امرأة من لهب،
أشتعل بنار الغيرة، ولن أترك إحدى بناتِ حواء تلوذ بك أو
تقاسمني فيك.

• حقًا !!

• طبعًا.. هذا لن يحدث أبدًا، خاصة وأنت ستصبح من أغنى وألمع
رجال عالمك الناجحين، فمن الطبيعي إذن أن تحاول بناتُ حواء
المآكرات الإيقاع بك والفوز بقلبك، ولكن هيهاتَ لهن ذلك، فأنت يا
أميري لي وحدي؛ أميري أنا وسيد قلبي، وعليك أن تدرك ذلك
وتعنيه جيدًا.. ولكن لحاقي بك في عالمك أمر يحتاج لبعض
الترتيبات التي علي إنجازها في عالمي قبل اللحاق بك ومساندتك.

• وماذا لو اشتقتُ إليك؟ كيف سيتسنى لي رؤياك يا حبيبتني.

• سأريك كيف يتسنى لك ذلك... هيا معي..

وأمسكت ثولار بيديه وأخذته وهرولت به مسرعةً إلى غرفتهما
ولمست بأناملها مرآة كبيرة مثبتة في الجدار فتحولت كأنها
صفحة ماء وبها صندوق نحاسي عتيق عليه نقوش بارزة وأحجار
يتأرجح فوق الأمواج، أخرجته وفتحته فظهرت داخله قلادة من
الجلد البني الداكن تتدلى منها قطعة من المشغولات الفضية مثلثة
الشكل أسفلها أكثر سُمكًا من أعلاها؛ فتبدو هرمية الشكل نوعًا ما،

مصنوعةً بمهارة وإتقان برغم كونها تعود لعصور قديمة وعليها نقوش وأحرف متداخلة تشبه الأحرف العربية وأخرى تشبه اللاتينية أو العبرية ويتوسطها حجر أزرق شفاف بلون مياه المحيط الداكنة، مذهل، يبدو كأنه حدقة عين عميقة تأخذك داخلها إن نظرت إليها، أخذت قوِلا ر القلادة من الصندوق ثم أغلقت الصندوق وأعادته إلى الماء فغاص واختفى وعادت المرأة لسابق عهدها، مجرد مرآة مثبتة في الجدار ثم التفتت لإبراهيم المذهول المأخوذ بروعة ما رآه وغرابته، ثم ألبسته تلك القلادة وأخذت عليه أغلظ الموائيق ألا ينزعها أبداً وإلا لن يستطيع رؤيتها مُجدداً..

طالما بقيت تلك القلادة تحتضن عنقه فما عليه إلا أن يقبض على القطعة الفضية المتدلّية منها بكلتي يديه ليجد قوِلا ر ماثلة أمامه وبين يديه لتسانده في كل لحظة من حياته... ثم نظرت إليه بعينين دامعتين يملؤهما الحب الذي أجادتْ دوماً إظهاره له ، وقالت :
• وهذا سر آخر من أسرار عالمي المذهل أهديه إليك، لم يملكه إنسي قبلك، فأنت لست أي إنسي إنك زوج أميرة من أميرات الجان.

• لكنك يا قوِلا ر بالنسبة لي أغلى وأثمن الأسرار.. لا يعدلك كل كنوز الدنيا.

ضمته بحنانٍ قائلةً : الآن... حان الوقتُ لأبد من الرحيل قبل مغيبِ
الشمس في عالمي، هيا.. أغمضُ عينيك الآن لتعود إلى عالمك..
وتذكر أنني قريباً جداً يا قلبي سأكون بصحبتك فأنا فقط أحتاج
وقتاً يسيراً هنا..

أغمض إبراهيم عينيه بعد أن قبل ثولار لتوديعها واحتضنها حتى
كاد أن يصهرها بين ذراعيه، ثم فتح عينيه ليجد نفسه جالسا
أمام مقود سيارته، وقد أطاح بمقعده للخلف مُتخذاً وضع الاسترخاء
على جانب طريق صحراوي مُظلم وساعة السيارة تشير إلى
الواحدة صباحاً، نظر إلى حيث كان الضياء فلم ير إلا الظلام
الدامس وبعضَ النجوم تلتمع في السماء...

ارتبكت الأفكار في ذهنه وظنَّ أن ما مر به من أحداث غريبة لا
يعدو كونه حلمًا فكأنه فيما يبدو نام لثلاث ساعات متواصلة، إلا أنه
لمح في مرآة السيارة تلك القلادة متدلّيةً حول عنقه؛ فأيقن أنه لم
يكن حلمًا أبدًا، وليست هلاوس سمعية وبصرية كما يعتقد د.
مهاب، نعم، لم يكن حلمًا أبدًا...

خالجته مشاعر مُختلطة.. تمتزج فيها الرهبة بالرغبة والخوف
بالتمني والتهيه بالتحفز لما هو آتٍ... حقيقةً هو مضطربٌ جدًا الآن

ولا يدرك كُنْه ما يحدث معه، ويشعر بصداغ يكاد يفتك برأسه من
جراء تصارع الأفكار داخلها..

أعاد المقعد لوضعه المعتدل وهو ينظر إلى حيث كان الضياء فلم
ير سوى صحراء مُقفرة، أدار مفتاح سيارته ليجد مؤشر الوقود
يشير إلى امتلاء خزان الوقود فتحسس قلادته وابتسم وتمتم في
سعادة قائلاً : إنها تلك الحسناء الآسرة، أميرة الضياء، فاتنتي، بل
زوجتي.. فلولار

شعر لكلمة (زوجتي) بوقع غريب في نفسه، كأنه تائه بين الواقع
والخيال... لكنه شعور لذيذ على أية حال...

obeikandi.com

(١٠)

قاد إبراهيمُ سيارته بنصف وعي تتصارع الأفكارُ داخله
وتتقاذفه المشاعر المتضاربة كسفينة ضلَّ ربَّانها طريقه في بحر
ثائر؛ فكل مامر به من أحداثٍ وحبٍ وزواجٍ وغرامٍ وحياةٍ كألف
ليلة لم يستغرق سوى ثلاث ساعاتٍ فقط من مقاييس الزمن
البشري... يضيع البشر أعمارهم هباءً إذن.

وصلَ إبراهيمُ لمنزله الذي تقسم موكا معه الحياة فيه، في
الحي الهاديء الراقى في أطراف المدينة والتي استقبلته بموائها
وكأنها تسأله مُعاتبَةً : أين كنت حتى هذا الوقت المتأخر؟

نظر إليها بنصف عينٍ وهو يتثاءب ويجر قدميه جراً حتى ارتقى
في أحضان فراشه وهو يرتجف من البرد والتوتر معاً؛ فتدثر
بلحافٍ وثيرٍ وغطَّ في نوم عميق في غضون ثوانٍ معدودة وهو
يحتضن وسادته كطفلٍ متشبثٍ بأمه.

نام إبراهيم لساعاتٍ طويلةٍ وكأنه سافر دهرًا، ليستيقظ
وشمس اليوم التالي قد أوشكت على المغيب، وشعور غريب
بالخدر يثقل أطرافه، ورغبةً جامحةً تسحبه إلى النوم مرةً أخرى،

وكأما يهرب إليه من أفكارٍ تفتك برأسه وتقرعها بمطارق من حديد.. يهذي وهو بين النوم واليقظة كالمحموم باسمِ قُولار وبتمتاتٍ غير مفهومةٍ ثم يستسلم للنوم من جديد..

لاشك أن مامر به ليس بالأمر اليسير، ولا شك أيضًا أن اختراق كهذا لطبيعته البشرية يجعله يحتاج لقسطٍ وافرٍ من الراحة ليتوازن من جديد، خاصةً وهو لم يكن متوازنًا منذ البداية فما لبث أن غادرَ أريكةَ طبيبه النفسي حتى أُلقي به في متاهاتٍ عالمِ قُولار.

وها هو الآن مُلقى بين أحضان لحافه ووسادته يلوذ بالنوم لينجو من بين برائنٍ واقعته الأغرب من الخيال، تأخذه الأفكار وهو بين نومه ويقظته فيتخيل ماذا لو علم د.مهاب بما جدَّ على حياته من غرائب وعجائب! هل سيصدقُه هذه المرة؟ أم سيرى حتمية إيداعه في مشفى للأمراض العقلية؟ لذا استقرت داخله فكرة أن يطوي صفحة العلاج النفسي هذه إلى الأبد، فلم يعد أبدًا بحاجة إليه بعد الآن...

أسرعت ثولار لتلبية استدعاء كبير الحكماء الملقب بالرأس الأعظم لها في كهف الحكمة، فالتهاون في موعد كهذا رفاهية لا تملكها ثولار ولا غيرها في مملكة الجان، وعلى الرغم من دهائها الذي يُشاد به إلا أنها كانت تقف أمام بوابة الكهف تترقب فتحها مرتبكة كطفلة ترتعد فرائصها أمام المعلم تنتظر توبيخه لتقصيرها في أداء فروضها، وما إن سمعت أزيزَ بوابة الكهف تُفتح حتى ارتفع خفقان قلبها بقوة، فهذا يعني اقتراب وقوفها في حضرة كبير الحكماء، وهو الأمر الذي طالما راود أحلامها من قبل، ولكنها الآن في وضع مختلف..

إنها الآن تقف بين المطرقة والسندان، تهددها لعنة أبرمت بين والدها وبين ملك ملوك الجان، ختمها وأقرها جميع ذوي المهابة والسلطان، تشعر كأنها تسير على خيط من اللهب فيما أن تعبره فتحقق مرادها، وحينئذٍ لن يوقف أحدُ حدود سلطانها وإما سقطت وهوت من علٍ لتجد نفسها تسكن ياقوتة ملعونة تعلق خاتم يطوق ميثاق عقوبتها ومُلقي داخل صندوقٍ معتم في كهفٍ مظلم في غياهبٍ محيط الظلام..

كانت الأفكار تستعر داخلها وهي تعبر ممر الضياء البلوري المؤدي لقاعة عرش الحكمة، وماهي إلا لحظات قليلة حتى مثلت ثولار راکعة أمام عرش كبير الحكماء مؤدية فروض الولاء والطاعة تتوسط ماردين لم ينصرفاً حتى أشير لهما بذلك...

انحنى ثولار في تهذيب مردهة :

• سمعاً وطاعة مولاي الرأس الأعظم.

• انهضي يا ثولار واجلسي يا بنيتي فلدينا الكثير لرتبه سريعا لتنجزي مهمتك في المهلة المحددة لك دون تأخير؛ فأنت تعلمين أن الملك أبنا قراراته نافذة لا محالة ولا يستطيع أي منا إثناؤه عنها.

• نعم سيدي أعلم ذلك وأعيه جيداً، لكنني أطمح في نيل ما أصبو إليه وهو شيء عظيم حقاً بالنسبة لي، وإلا ما جازفت، فلو تم الأمر كما أردته وخططت له لتغيرت أشياء كثيرة سأزلزل الأرض تحت أقدام البشر.

• تغيير الثوابت ليس بالأمر الهين يا ثولار إنك تتحدثين عن قوانين أبدية يا صغیرتي وهناك عهد ومواثيق عقدت ورصدت وصفت منذ الأزل بين إلها وإلههم، الذي كفرنا به وتحديناه وحاربنا أنبياءه، وجندنا أقوامهم ضدهم، ونجحنا في إفساد عقائد أقوامهم حتى أولئك الذين آمنوا بهم... لذا.. لم يعد بإمكاننا تغيير ثوابتنا الآن..

• سيدي.. أنا أسعى فقط لتعديل بسيط في الكيفية، ووسائل الوصول لأهدافنا المقدسة بما يتناسب مع تطور العصر ومستجداته

• اممم ألهذا اخترت مهندس برمجيات؟

• نعم، هذا أحد الأسباب يا سيدي.. لقد حاربنا البشر منذ عهود ونجحنا دومًا حتى جعلناهم لايشبهون أسلافهم، كما استطعنا تحريرهم كلياً من قواعد الفكر البشري لينحازوا تمامًا لما نريده منهم، فأصبحوا يدعموننا بشكل أكثر فعالية وينفذون بيسر وسهولة ما نريده، دون حتى أن نطلبه، سيدي الرأس الأعظم خطتي لو تمّت كما أردتُ لها ستزعزع ممالكهم بلا رجعة، وتثبت أركان مملكتنا وتمهد الأرض لاستقبال انتصاراتنا اللامحدودة وسطوتنا الكاملة على العالم، ولن يشعروا بوجودنا بل إنهم سينكرون وجودنا إن نطق به أحد لأننا سنستخدم علومهم في إغوائهم، وسلاحهم في دمارهم، وغرورهم في الفتك بهم.

• كل هذا تتوقعين حدوثه بسيطرتك على مجرد إنسي مؤمن؟ أخشى أن يكلّفك وهمك هذا الكثير يا ثولار، لم تختاري أحد المارقين عن الأديان لتكون قيادتك له أيسر ويأتيك بنتائج ترضيك وترضينا جميعاً أكثر، فالعهد الذي أبرمناه مع إلههم من ضمن بنوده أن عباده المخلصين ليس لنا عليهم سلطان، وأخشى

أن يكون من اخترته هذا منهم فيذهب تعبك أدراج الرياح
وتكلمي حياتك داخل يا قوته.

• قبلت المجازفة سيدي الرأس الأعظم، بل إنني أشعر بلذة
المغامرة رغم صعوبتها، وأطمح فقط في دعمكم المقدس..

((قالت عباراتها تلك وهي توميء برأسها في انحناءة تهذيب))

• سأوفر لك كل ما تحتاجينه من الدعم، فلقد وعدت والدك الملك
قطربان بذلك، ولكن!.. انتبهي جيداً فالنتائج مسئوليتك وحدك؛
فلن أدفع عنك خطراً سعيت إليه بكامل إرادتك، فلقد أخطأت
عندما منحتيه قلادة الأمجاد العليا دونما عهد تربطينه به، و دون
أن تسقيه كأس الدم البشري، لقد وهبت له خدام السلطة والمال
بلا مقابل، وبلا ميثاق حماية للقلادة المقدسة. كيف أقدمت على
مثل هذه الخطوة بلا دراسة يا قولار؟ كيف؟ أين كان دهاؤك حينها؟

• سيدي الرأس الأعظم من دراستي لتاريخ البشر عبر العصور
السحيقة وجدتهم يتنازلون عن عروشهم وممالكهم ويشعلون
الحروب ويتصاعون تماماً لإرادتنا ويعصون أنبياءهم وإلههم الذي
يدعون عبادته من أجل أهوائهم وما يرغبون به... سيدي.. البشر
في حقيقتهم لا يعبدون سوى أهوائهم، بل إنهم يبذلون كل غال
ونفيس من أجل إرضاء نزعاتهم وغرائزهم، وما علينا سوى أن نضع

أقدامهم على الطريق الذي نريده نحن ونختاره لهم، ونذل لهم السير فيه، ثم نزينه لهم بوساوسنا وإيعازاتنا.

• تعتقدين يا ثولار أن غرامه بك كفيلاً وحده بتحقيق مآربك و حماية القلادة المقدسة؟!... تهذين بالتأكيد.

• سيدي الرأس الأعظم... تعلم جيداً أن ملوگاً منهم تنازلوا عن عروشهم من أجل الحب.. حب إنسية بائسة ساذجة من بنات حواء متواضعة الجمال، متواضعة الذكاء ، متواضعة القدرات... فماذا لو وقع أحدهم في حب ثولار؟ وما أدراك ما ثولار !

ضحك الرأس الأعظم ملء فيه معجباً بخيلاء ثولار، واعتدادهها بنفسها، وإن لم يكن هذا كافياً لطمأنته، فبادرها قائلاً :

• سأدعمك بكل تأكيد يا ثولار، فمن المؤسف أن ينتهي بك الأمر حبيسة ياقوتة مرصودة فلا ترى عيناك الجميلتان ضوء النهار، ومن المؤسف أن تفقد مملكتنا الخالدة فاتنة كثولار، وتفقد معها قلادة الأمجاد المقدسة.

• ابتسمت ثولار ابتسامة قلقة، وقالت في استسلام :

أما عن القلادة المقدسة فستعيدها تعويذتها إلى صندوقها القابع مكانه في أمان إذا أصابني مكروه، وأما عن ثولار.. فسيحفظها دعمكم المقدس لشخصها المتواضع يا مولاي.

• وعدتك بالدعم يا عزيزتي.. إن جيشاً كاملاً من الشياطين سيكون تحت إمرتك ورهن إشارتك حتى تُذل لك الصعاب وتُفتح لك الأبواب.. ولكن! عليك أن تتذكري أمراً هاماً؛ فكما كان في مجلس الحكماء من يريد دعمك؛ فهناك أيضاً من يريد هدمك وهذا الفريق سيسعى جاهداً ليعرقل بلوغك لمرادك ويصعب عليك مهمتك ، وليس لي عليهم سلطان لأمنعهم.

أومأت فلولار برأسها مشيرةً لتفهمها، وانحنّت في تهذيب تستأذن في الانصراف لتبدأ في تنفيذ مهمتها الصعبة، والتي تحتل من نفسها منزلة التقديس... ليس ذلك فحسب، بل إن نجاحها في مهمتها هو طوق النجاة لها من حياة في قلب الظلام في تلك الياقوتة الملعونة.

(١٢)

أشرقت شمس اليوم الثالث منذ عودة إبراهيم إلى عالمه، استيقظ متثاقلاً على صوت مواء قطته الذي لا يهدأ وهي تنشب مخالبها في وضع الانقضا وتلتفت حولها في كل اتجاه في غرفته التي أسدلت ستائرهما لتحجب عنها كل ضوء قد يتسلل إليها.

نظر إلى موكا الفزعة من شيء ما بعينين ناعستين تجاهدان لرفع أجفانها ويخاطبها بصوت مازال يحتله سلطان النوم ، قائلاً : ماذا انتابك يا موكا؟ لماذا تموتين هكذا؟ اهدئي قليلاً يا عزيزتي، هل رأيت عفريتاً؟.. قالها وهو نصف نائم يهذي... ألا ما أجمل العفاريت وما أكذب البشر بشأنهم!

ولكنّها لم تهدأ أبداً بل ازداد مواؤها حتى اكتمل استيقاظ إبراهيم، فأزاح عنه لحافه الوثير ونزل من فراشه متثاقلاً كأنما يحمل ساقيه وسار كالثمل إلى الحمام ليلبى نداء طبيعته البشرية، ثم اغتسل، والتف بمنشفة كبيرة أسفل خصره وأخرى أصغر منها على كتفيه، وخرج إلى المطبخ ليعد لنفسه قهوة الصباح حتى يكمل مراسم استيقاظه.. كل هذا وموكا لم تكف عن المواء حتى

بعد أن وضع لها المزيد من الطعام والشراب مما أزعج إبراهيم
وكاد أن يخرج عن شعوره؛ فصرخ فيها ناهرا :
موووووكاكاكاكاكا.. كفى صراخًا ومواءً، وإلا أخرجتك خارج المنزل
وتركتك تصارعين كلاب الشوارع.

قال هذا صارخاً مُصَوِّباً نظراته الحادة نحو موكا المسكينة التي انصرفت من أمامه غير راضية عن نظراته وصراخه فيها، وكأنها قد فهمت تهديده لها، وراحت تنشُب مخابها وتحكما في الجدار مُصدرة مواءاً ضعیفاً.

عاد إبراهيم حاملاً كوب قهوته وبعض شطائر الجبن أعدها لإفطاره متجهاً إلى غرفته ليرتدي ملابسه بدلاً من تلك المناشف التي تعلقو حسده.

وضع قهوته وصَحَنَ الشطائر على منضدة بجانب أريكته الوثيرة الأثيرة التي تحتضنه مُعظم يومه أمام التلفاز المُعلق على الجدار والذي غالباً لا يلتفت إليه بقدر ما يستمع إلى صوته أثناء متابعتة لحاسوبه أو قراءاته للكتب والأبحاث وما إلى ذلك؛ فيبراهيم قضى أكثر من نصف عمره قارئاً فكأها دخل للعالم من بوابة الكتب.

إنّجه إبراهيم لخزانتة ليرتدي ملابسه، مسح على شعره الأملس ومشطه للخلف وربطه بشريط مطاطي داكن في عدم اكتراث، وهو ينظر للمرأة ولا يجذبه إلى صورته فيها شيء إلا

تلك القلادة التي تحتضن عنقه في دلال كصاحبها، شيء ما يشده لهذه القلادة الفريدة التي لم ير لها مثيلاً من قبل، يستنشق لها عبْقاً خاصاً يُشعره بطاقة غريبة تدبّ في أوصاله، كما شعر بنشوة غريبة برقت لها عيناه السوداوان حين تذكر ثولار بحسنها وفتنتها، وسرت قشعريرة غريبة في جسده إذ شعر لوهلة كأنها تبادله النظرات الآن، وكأنها تُطلّ عليه من مرآته؛ فأغمض عينيه وفتحهما فلم يرها؛ فأقنع نفسه أنه واهم، لكنه وهمٌ لذيذ على أية حال...

أكمل ارتداء ملابسه، وارتشف قهوته وهو يفتح حاسوبه ويتناول إفطاره بلا وعي كالمعتاد. تصفح الـ (E- mail) الخاص به ليجد في (in box) رسالة جديدة من إحدى شركات المضاربة في العملات العالمية لتخبره أن الأسهم الخاصة به ستريح مبلغاً طائلاً لو أتمّ الصفقة المعروضة عليه الآن، وبدون تعمق في التفكير قام بعقد الصفقة فأتمّ عملية شراء وبيع بالمبلغ المتواضع الذي خصصه لهذا النوع من المضاربات عبر شبكة الإنترنت والذي لم يزد كثيراً منذ بدأ تلك المضاربات ولكنه يحب تلك اللعبة.

كرر عدة صفقات من نفس النوع بعملات مختلفة ليفاجأ بأن إحدى تلك الصفقات قد حققت أرباحاً طائلة لم تحدث له من قبل، وأن رصيده المتواضع أخذ في التضاعف بشكلٍ مثير للدهشة.. ما هذا؟ لقد تحول رصيده لخانة الآلاف بعد أن كان لا يتجاوز مئات قليلة، ما هذا؟؟ الآلاف تتضاعف.. يا إلهي ! ماذا يحدث؟ هناك

خللٌ ما.. أهو واقع أم خيال؟ أم أن هذا الموقع مجرد لعبة إلكترونية من ألعاب الإنترنت؟؟ أم تراني انتقلت للحياة داخل أحد أفلام هوليوود التي تعجّ بالخيال؟...

لا يكاد يستوعب ما يحدث معه.. خرج من الموقع ثم دخل من جديد، أدخل أرقامه السرية من جديد، راجع البيانات الشخصية، كل شيء صحيح... راجع خانة الرصيد الحالي ليتأكد فوجده فعلاً قد تضاعف لعدة آلاف من الدولارات لم يحلم يوماً أن يصل إليها، اتصل عبر الهاتف بالبنك الإلكتروني ليتفحص حساب بطاقته الائتمانية، فتأكد بالفعل أن هذه الأرقام قد أضيفت لحسابه، أغلق هاتفه وهو في حالة ذهول...

مازال غير قادر على استيعاب ما يحدث، و لم يقرر بعد كيف سيتعامل مع تلك الأرقام المالية الكبيرة التي أضيفت لرصيده، ولكن!

بعض السذاجة البشرية تفاعل بظهور ثولار في حياته وبقلادتها المتدلّية حول عنقه وقرر إكمال الصفقات ليرى ما سيحدث.

تلك الأرباح الغير متوقعة التي حققها إبراهيم في وقت قليل أشعلته بالحماس وبدأ يشعر أن الحياة عادت لتبتسم له من جديد، فواصل عقد الصفقات والمضاربات، وكلما راوده خاطر الخسائر المحتملة لم يُعره اهتماماً ولم يعبأ به إطلاقاً فلکم خسر من قبل! فلن يؤثر عليه إذن أن يتجرع المزيد من كؤوس الخسارة التي اعتاد مذاقها وألفها فلم تعد تخيفه أو تزعجه على الإطلاق، وبالرغم من كونه قد أصبح فجأة يمتلك أرقاماً نقدية لم تغازل مخيلته من قبل، ولكنه لم يلمس شيئاً حقيقياً منها بعد، فمازالت مجرد أرقام في حساب بطاقته الائتمانية، ولم تدخل حياته الحقيقية بشكل فعلي بعد، شأنها شأن أي لعبة إلكترونية خيالية مما اعتاد قضاء بعض وقته في ممارستها، ومازال هو بين أحضان أريكته، فلا بأس من الاستمتاع بالمغامرة حتى نهايتها وليحدث ما يحدث، فإما وثبة قوية تصعد به إلى عنان السماء وتغير حياته، وإما خسارة لن يشعر بتأثيرها، ولن تغير شيئاً في واقعه؛ فهو لم يجرب رفاهية الأثرياء بعد ليشعر بافتقادها إن خسر.. إذن هيا فلنكمل المغامرة وليكن ما يكون...

هكذا حدث إبراهيم نفسه وهو منهمك في المضاربة بالعملات ببساطة دون أدنى توتر أو قلق، وكأنه يستمتع بإحدى ألعابه المعتادة بلا كلل أو ملل، بيد أن اللعبة هذه المرة حقيقية والأرباح فعلية.

لقد تغير كثيرا إبراهيم في هذه الأمسية.. فقد مرت عليه أربع عشرة ساعة منذ أن استيقظ تبدل فيها واقعه ليصبح في عداد الأثرياء، انتصف الليل ومازال يشعر بالنشاط يدب في أوصاله والطاقة تملأه بالرغم من عدم تناوله أي شيء سوى بعض الفاكهة التي اعتاد وضعها بجوار أريكته، وكأن حصده للأموال قد غير كيمياء جسمه ونبه جميع حواسه وخلاياه ووهبها الطاقة، عجباً.. ! لم يكن إبراهيم من قبل أحد عبيد المال والباحثين عنه، بل كان دوماً ما ينأى بنفسه عن أن يكون ممن يتذللون ويتوسلون ويتنازلون عن مبادئهم من أجل المال، ولكن هذا المال أو بالأحرى هذا الثراء له مذاق مختلف، حيث يأتيه طيعاً بلا حروب قذرة وبلا مدهانات ومنافسات وصراعات، وكل من عليه التعامل معه هو حاسوبه الخاص، ذلك الصديق الرفيق الذي لازمه في أحلك أوقاته ونفس عنه معظم كروبه، وها هو الآن يذوق طعم الفرح والنجاح بفضل، وبفضل تواصله بالعالم من خلاله.

إنها ليست الفرحة بجني الأموال فحسب، بل هي تلك الفرحة بمذاق النجاح الذي طال غيابه لسنواتٍ فَقَدَ معها الشعور بطعم الحياة...

صاح إبراهيم في فرحة طفولية.. هاااي مرحى مرحى أيها الثراء... لقد أتيت إلي... نعم أتيت بكامل إرادتك الحرة، فأنا لم أطلبك ولم أسع إليك ولكنك... أتيت.

هكذا أطلق إبراهيم متهللاً صيحة انتصاره، حيث شعر أخيراً أنه انتصر على سوء الحظ الذي لازمه منذ مدة ليست بالقليلة..

أكمل صفقاته ببريق يتلألأ في عينيه وابتسامة راقية تعلو شفتيه، وحياة تجتاحه من جديد..

obeikandi.com

(١٤)

مع بزوغ فجر اليوم التالي...وبعد ليلةٍ مُكَلِّلةٍ بالنجاح وحصدِ الأموال، لم يغفل لإبراهيم فيها جفن من فرط اشتعاله بالحماس...

والآن لديه رغبة جارفة في الاحتفال بما حققه، وبأن تشاركه ثولار هذا الاحتفال، فقد شعر فعلاً بشوقٍ جارفٍ لها وللمساتها الحانية وعطرها المثير؛ فلقد أشعلت حواسه حقاً عندما اقتحمت حياته ليس فقط بفتنتها وأنوثتها وإنما بتوغلها داخل أفكاره، بالمذاق الجديد الذي أضفته على حياته... مذاق المشاركة مع قطعة من روحك في مكانٍ آخر... أو هكذا ظن !

ولكنه تساءل في صمت... ترى هل ستأتي؟ قالت بأن عليها تسوية بعض الأمور في مملكتها قبل أن تستطيع المجيء، لكنها وعدتني أن تأتي إذا ما احتضنتُ تلك القطعة الفضية المتدلّية من القلادة بين راحتي.. لا بأس في أن أجرب.. لقد اشتقتُ إليها حقاً.

حدّث نفسه بهذا وهو يتمتع واقعاً بعد جلسةٍ ممتدةٍ أمام حاسوبه تغيرت فيها موازين حياته وأعيدت صياغتها من جديد في تلك الليلة المشهوددة.

مشى بضعَ خطواتٍ ليرى تقاسيم وجهه الوسيم في المرأة وقد كساه بريقُ السعادة، تذكر بأنه لم يتسم لنفسه في المرآه منذ وقت طويل حقًا. مرر أصابعه بين خُصلات شعره الناعم الفاحم السواد، لاحظ أنه لم يعتنِ جيدًا بمظهره منذ مدة طويلة، فلم يكن لديه مايدعوه لذلك، أما الآن فلا...

فها هي الحياة التي كانت عابسة تبسم له من جديد وعليه أن يبادلها الابتسام، كما أنه يحظى بزوجة بارعة الجمال، بل فاتنة كما لم ير فتنة تضاهيها من قبل، وتلك الزوجة تستحق منه أن يهتم بنفسه أكثر ليليق بها، أما كونها ليست من عالم البشر فهذا لا يعيبها إطلاقًا، بل إنه أشد ما يميزها لديه. فماذا وجد من البشر ليجبهم ويتزوج منهم، فلطالما تعمدوا إيذاءه، ودفعوه دفعًا لاعتزالهم واختيار الحياة على هامش الحياة لينأى بنفسه بعيدًا عنهم..

ثم تذكر صحبته الفريدة، هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يحتلون جسده أحيانًا ويمثلون أمامه أحيانًا أخرى ليختلفوا ويحتدم النقاش بينهم.. ثم حدث نفسه بشأنهم متسائلًا أين هم الآن؟ أين اختفوا؟ لماذا لا يأتون اليوم ليشهدوا نجاحه كما عَنّفوه دومًا في فشله؟ أم إنهم رفاق الفشل فقط؟ عليهم اللعنة لكم ضاعفوا من إحساسه بالفشل..

عَبَسَ قليلاً عندما تذكرهم وتذكر بعض المواقف المؤسفة التي مرت به معهم.. عادة بشرية سخيفة يعكرون بها صفو سعادتهم باجترار المواقف الحزينة من غياهب الذاكرة...

ولكن إبراهيم أصبح مختلفاً الآن.. لقد قرر أن يُنحي كل هذا جانباً ويبتهج استعداداً لاستقبال ثولار.

مشط شعره وربطه مرة أخرى بشريطه المطاطي الداكن إلى الخلف ، تأمل ملامحه وشعر بالزهو بنفسه، شعر بأن حدة عينيه وشدة سوادهما مع كثافة حاجبيه، وأنفه الأشم وشفتيه الرفيعتين مع بروز عظام الفكين اجتمعت في ملامحه لتهبه مظهرًا حادًا يتسم بغموض مميز، وأضفى عليه طوله وعرض كتفيه مهابة تليق بأن يكون زوج أميرة في ممالك الجان...

ما كلُّ هذا الزهو؟ حقيقةً لم يكن إبراهيم من قبل أبدًا بهذا الزهو، ولكن يبدو أن القلادة التي يرتديها بدأت تضيء سماتٍ جديدةً على شخصيته، فنظر لنفسه نظرةً مختلفة لما منحته من الثقة.

ما إن احتضن إبراهيم تلك القطعة الفضية المتدلّية من قلادته بين راحتيه حتى شعر بعطر ثولار يملأ المكان ببهجته، وهي تضمه من

الخلف وتنتشر قبلاتها على كتفيه في شوقٍ بالغ أجادت إظهاره
متى شاءت، تهلل وجهه بالسعادة حين رآها وبادرها قائلاً :

• فاتنتي... خشيتُ ألا تأتي حقًا.

• كيف؟... لا أملك ألا آتي إليك.. هذا غير جائز في شرائعنا،
ففي عالمنا يا حياتي الزوجة ملك لزوجها تأتيه متى أراد، وتمثل
له كما يتمنى، فكيف لا أفعل وأنت أيضًا لست زوجي فحسب،
بل حبيبي الذي همت به عشقًا وتحديثٍ عالمي وعالمك كذلك
لأكون لك ومعك في كل حين.. كما أنني يجب أن أشاركك فرحتك
اليوم؛ فإن لم تستدعني كنتُ سأتي إليك وحدي.

أرضتُ كلماتها غروره الذكوري وانتشى زهوًا بنفسه؛ فطوقها
بذراعيه وهمس لها وهو يقبلها :

• حبيبتي... لقد علمتُ إذن بكل شيء، وأفسدت علي المفاجأة،
ثم غمز لها مداعبًا بقوله : يالك من جنية عفريته !..

وارتفعت ضحكاتهما وأغرقتة في سعادةٍ مشتعلةً بلهيب الغرام
قبل أن تسلمه لنومٍ لذيذ بين أحضانها لتبدأ في بث سمومها في
عقله، وإعادة صياغة أفكاره كما أرادت..

ماكرةٌ هي ، تعرف كيف تُحكم قبضتها عليه بإتقان.

(١٥)

لم تُضَعْ شُولار الكثير من الوقت فما إن استيقظ إبراهيم، وانتهى من استحمامه حتى وجدها قد أعدت له قهوتها المميزة وبعضَ الفطائر والحلوى للإفطار، وبينما هو يتناول قهوته وإفطاره أخذت تحدثه عن أهمية اختياره لمقر ملائم للشركة التي سيفتتحها في الأيام القليلة المقبلة..

أخذته الدهشة البالغة لحديثها الذي لم يخطر له على بال من قبل وتساءل بعدم استيعاب مدى جديتها في الحديث:

• أية شركة تعنين؟

• شركتك الجديدة لأنظمة الحاسوب والمعلومات والبرمجيات، أليس هذا مجال دراستك الذي برعْتَ فيه يا حضرة المهندس المحترم؟

• (ابتسم في تهكم قائلاً): نعم، ولكن!

هل كل من درس شيء يعمل في مجال تخصصه وبراعته، حبيبتني أنتِ الآن في عالمي أنا، وعالمي يحتاج منك للمزيد من الواقعية

• ولكنني لا أمزح، أنا جادٌ في حديثي حقًا يا إبراهيم.. واقعياً.. ستكون لديك شركة في أقرب وقت، وسيكون مطلوبٌ منك أن تصل الليل بالنهار لتصل بشركتك للعالمية.

• نعم، ولكن ! السوق مليئٌ بالحيتان في هذا المجال الذي بات يسيطر على عقول البشر في هذا العالم، ولا أظنني مؤهلاً مهما كانت براعتي في الدراسة لمنافستهم بخبراتهم الطويلة، وأسمائهم اللامعة، الأمر يحتاج للتروي والدراسة المتأنية قبل خوض غمار تلك المغامرة.

• وهل تظنني أنتظرك؟ لقد تمت الدراسة بالفعل؛ فنحنُ يا عزيزي لانهدر الوقت مثلما تفعلون.

ضحك إبراهيم ملء شذقيه قائلاً :

• هذا أمر مؤكد لي، وقد لمسته بنفسه حقًا، فقد تعارفنا وتزوجنا وقضينا شهر العسل في ثلاث ساعات.

• جيد أنك مدركٌ لذلك إذن استعد يا عزيزي فستكون أنت ملك السوق في هذا المجال في الفترة المقبلة، وسترتفع أسهمك بالصورة التي ستربك منافسيك، مما سيوقعهم في أخطاء فادحة ستصّب جميعها بالطبع في صالحك وصالح شركتك، وبهذا سينتهي أمرهم أمامك وستنفرد شركاتك بالأرباح الطائلة وثقة العملاء..

ستحظى بالشهرة، كما ستحظى أيضاً بالحساد والحاquدين الذين سيموتون كمداً من نجاحاتك..

• مهلاً مهلاً حبيبتى.. هذا يفوق طموحاتي بكثير يا ثولار، فأنا شخصٌ مسالم لا أسعى للمعارك وألحقها في عُقر دارها.

• معارك؟ أية معارك؟ إنه النجاح، وتلك ضربيته، هل سمعت عن نجاح بلا حساد من قبل؟

• لكن!.. الشهرة ليست من ضمن طموحاتي

• يا عزيزي... هناك حقيقة عليك أن تعيها جيداً.. المالُ يجلب الشهرة والشهرة تجلب المال.. كلاهما وجهان لنفس العملة؛ فإذا حصلت على وجه فلا بد من حصولك على الآخر.. ثم.. أخبرني.. ماذا كنت تتوقع أن يحدث لك؟ ألم أخبرك مسبقاً أنك ستكون سيداً في قومك؟

• بهذه السرعة؟

• وأكثر مما تتخيل... إنها فقط البداية يا عزيزي، هيا لنبدأ الآن، وكفك مهاترات لا طائل منها، فالوقت منذ الآن محسوب عليك.. اصغ إلي جيداً، ستقوم بفتح حسابك بأحد البنوك الخاصة في سويسرا والتي تتعامل مع عملائها من خلال شبكة الانترنت،

وتضمن لهم السرية الكاملة وحماية أرصدتهم، كما تعطي أعلى عوائد ربحية.

• سويسرا؟ وهل ستقبل بنوك سويسرا بمجهول الهوية مثلي؟

• نعم، ستقوم الآن وفوراً بإنشاء حسابك الإلكتروني على البنك الذي سأحدده لك وستنقل عليه جميع أرصدتك وكل ما ستحققه من أرباح في الأيام القليلة المقبلة، بشكل مؤقت سيقبلون برقمك القومي لإثبات بياناتك حتى تقوم باسخراج جواز سفرك.

• جواز سفر؟ وهل سأسافر أيضاً؟

• بكل تأكيد، وفي أقرب وقت لإتمام الشئون القانونية بشأن حسابك المصرفي هناك، بعدها سيقوم البنك بدوره بضمان ودائعك لديهم وتسهيل إقامة شركتك، والقيام بعمل دراسات الجدوى، واختيار الصفقات الناجحة وترشيحها لك لتختار منها ما يناسبك، كما سيقوم البنك بإدارة ثروتك التي لديهم أيضاً، ليس ذلك فحسب؛ بل سيقوم كذلك بتيسير حصولك على القروض الضخمة للتوسع في مشروعاتك بضمان ثرواتك التي لديهم.

• تتحدثين وكأنني أملك الملايين.

* لن تستطيع إحصاء ثروتك عما قريب... المهم.. سيحفظ لك هذا البنك سرية حساباتك بعيداً عن أعين منافسيك الذين سيقتلهم الفضول، وسيوفر لك دوماً مظهر الثراء الغامض الذي لا يُدرك مداه أحدٌ فيبدأون في نسج الأساطير حولك، وهذا مطلوبٌ في عالم المال، سيفيدك كل ذلك في مرحلةٍ أخرى لاحقة سنتحدث عنها في حينها.

ابتسم إبراهيم وقال لها مداعباً :

• من تلك الفاتنة التي تزوجتها؟ أصابتني بشللٍ دماغي.. أنتِ حقاً مذهلة لابد وأنكِ تشغلين منصب وزير المالية في عالمك.

• ضحكت بدلالٍ وقالت مداعبةً له بشيء لا يخلو من الحقيقة..

بل في عالمك أنتِ.. هيا افتح حاسوبك الآن.. حالاً؛ فوقت رجال المال والأعمال باهظُ الثمن أيها الكسول.

قالت عباراتها الأخيرة وقد أتت له بحاسوبه ليصبح ماثلاً أمامه بلا شيء يستند عليه فصرخ فيها ضاحكاً من فرط الذهول فكل ما يدور بحياته يفوق خياله واستيعاب عقله وقال : أنتِ حقاً عفريتة ، هاي ثولار.. لا تعتادي على مثل ذلك وإلا قال الناس عني مشعوذاً وربما انتهى بي الأمر في غياهب إحدى السجون..

ثم فتح حاسوبه وبدأ في تنفيذ تعليماتها وهو يحاور عقله :

يبدو أن الأمر جاد وأنك قد أصبحت من رجال المال يا إبراهيم..
ويبدو أنك ستفقد فراشك الوثير كثيرا في الفترة المقبلة..

حدّث نفسه داخل رأسه فأجابته فلولار لتثبت له أنها تسمع أفكاره
كنوع من ترويضه بدلالها الأنثوي قائلة :
نعم، نعم يا إبراهيم لقد أصبحت كذلك بالفعل وستفتقد ذلك
الفراش الذي كثيرا ما احتفظ بك بعيداً عن العالم والحياة.

(١٦)

لم تمضِ إلا بضْعُ أسابيع حتى تمَّ كل شيء كما خطَّطت له
ثولار، وأصبح المقر الرئيسي والأول للشركة مُجهزاً بأفخر الأثاث
والديكورات التي تتناسب مع الحي الراقي، والبنية الفخمة المطلّة
على شاطئ النهر حيث تقع الشركة.

السُرعة التي سارت بها أحداث حياته الجديدة كانت فوق احتمال
إدراكه، وكأنها تم اختطافه من حياة وإلقاءه في أخرى غيرها
لأتمثلها في شيء قط، لذا لم يكن يستغرق الكثير من الوقت
في التفكير، بل كان فقط ينفذ بدقة ما تملّيه عليه ثولار التي
وضع بها كل ثقته وكل أحلامه وآماله أيضاً..
وما كان يدري أيّ جحيم ستُفحّمه فيه..

بدأ العمل في الشركة على قدم وساق؛ وانهاالت العروض والصفقات على إبراهيم من كبرى الشركات العالمية وصعدت أسهمه بسرعة البرق ليطيح بمنافسيه بلا هوادة ويحتكر السوق المحلي، غير مبال بحجم الخسائر التي سببها لمنافسيه؛ فلا رحمة في عالم المال.. وكلما أراد أن يهادن منافسيه بعقد الصفقات التي يتشارك معهم الأرباح فيها أثنته قوَلار عن ذلك بدعوى أن المال له قوانينه التي لا تحكمها العواطف، وأن المال لا يعرف الوسطية فهو إن لم يكن لك كان عليك... حكمة غريبة نجحت قوَلار في زرعها داخله فبات لا يأسف لخسائرهم أمامه، ولا يفكر ولو لثوانٍ في كمّ البيوت التي خربت، ولم يعد لها عائل من جراء تلك الخسائر الفادحة، دائماً ما أوجدت له المبررات المقنعة التي يرتاح لها ضميره، ولكي تعود قوَلار لخطوتها التالية التي تعلمها وحدها كانت تحثه باستمرار على تخصيص قدر كبير من عائداته وأرباحه للتبرع للفقراء وإعالتهم ورعاية الأيتام وإيواء المحتاجين وإطعام المساكين، وغيرها الكثير والكثير من الأعمال التي بدت لإبراهيم ومن سواه أنها أعمال البر والخير والتقرب لله لنيل رضاه وتوفيقه وكسب الثواب، بينما شيطانة مثلها لها بالتأكيد مآرب أخرى ستسفر عنها الأيام؛ فمن المضحك أن نثق في شيطان...

هيات كل تلك الأعمال الخيرية إبراهيم لتقبل المزيد من إيعازات
قولار بضمير هانيء بما يفعله، كما أكسبته شهرة كبيرة لدى
عامة المجتمع، ولفتت الانتباه إليه؛ فكثرت الأحاديث المتناقضة
بشأنه؛ فهو رجل الأعمال الشاب، البالغ الثراء، يكرس حياته لعمله
فقط ولا يكف عن أعمال الخير والبر، غمر كرمه الفائق الفقراء،
وأوجد فرص العمل لآلاف الشباب، وفي نفس الوقت هو أيضًا ذلك
الرجل ذاته الذي كان سببًا مباشرًا في دمار بيوت الكثير من
أباطرة السوق، وتكبيدهم أشد وأفدح الخسائر، وهو كذلك حوت
شركات الإليكترونيات الذي ابتلع وحده أهم الصفقات التي تمت
في جميع أنحاء الوطن العربي، الذي لا يقف أمامه منافس مهما
كان ثقله في السوق، كل هذا جعل صورته في أذهان الناس تبدو
كالشمس التي كما تحرق من يقترب من وهجها، فهي أيضًا تهب
الضياء، وتنتشر الدفء في برد الشتاء..
صورة رغم بساطتها معقدة...

وكنتيجة حتمية لاحتكاكه بعالم المال والأعمال يأتي احتكاكه بالقوى
السياسية وذوي النفوذ في وطنه خاصة، وفي باقي بلدان تواجد
شركاته عامة، حيث ربطته بالكثير منهم علاقات الصداقة ذات
الطابع النفعي، لا عجب في ذلك؛ فزواج المال والسياسة هو زواج
حتمي ومؤكد وإن كان زواجًا عرفيًا متواريًا عن الأنظار يصعب

الاعتراف به، وينكره كلا الطرفين، لأن لكليهما أسبابه في التستر على تلك العلاقة الشائكة التي تتأرجح بين الشرعية والتحرير حسب مقتضيات المصالح وكيفية تسييرها.

ومن هنا اكتسب إبراهيم المزيد من قوة التواجد الراسخ في الأسواق المحلية والعالمية، وأصبح له دوره الذي لا يستهان به في تحريك مؤشرات الاقتصاد في دولته.

وبسرعة لافتة أصبح محط أنظار القوى السياسية وعلى رأس قائمة الشخصيات التي تمثل أهمية ما لديهم، وأحد أبرز الأسماء اللامعة التي يترقب الجميع خوضها لغمار السياسة في أي حين.

لابد وأن رجلاً كإبراهيم بكل ماهو عليه من الثراء والنجاح والذكاء والشهرة، بالإضافة إلى ما حظى به من وسامة وجاذبية ملحوظة وشخصية قوية حازمة- أن يصبح محط أنظار وإعجاب الكثيرات من بنات حواء، وخاصة سيدات المجتمع اللامعات وبنات العائلات الكبرى، اللاتي قد سعين إليه ولم تُكتب لمساعدتهنّ النجاح في الوصول لقلبه المؤصد. ويبدو أن عزوفه عن الزواج وقد شارف على الأربعين قد أثار حوله الشكوك وساهم في نسج الحكايا والأساطير والاختلاقات اللامحدودة، والتي ذهبت لأبعد مدى من التناقض، فبين ما أثير حول مجونه وتعدد علاقاته النسائية هناك من ادعى شذوذه وعزوفه عن النساء، وهناك من ادعى تعدد

زيجاته السرية من ألمع نجومات المجتمع، بينما أعزى غيرهم أمر ثرائه الواسع وسطوة نفوذه لزواجه من ابنة أحد ملوك عالم المال في الخارج، وكل ما يستندون إليه في مثل تلك الأكاذيب التقاط بعض الصور له مع المشاهير في الحفلات العامة، تلك التربة الخصبة لنمو الشائعات واستفحالها، ولم يشغل باله قط بنفي شائعاتهم أو إثباتها، بل لم يعرها أي اهتمام..

حتى سكرتيرته الحسنة خريجة الجامعة الأمريكية ذات الملامح الأوروبية والقوام اللبناني، لم تستطع أن توقعه في حبالها بكل هذا الجمال الصارخ والدلال الذي خُلقت به كجزء من ملامحها، ومما معها بشكل تلقائي، وبالطبع كان لها باعٌ في إشاعة الأقاويل عنه من باب الثأر لأنوثتها التي أهانها بالتجاهل..

كم ضحك في سره وهو يسمعها تُتمتم حانقةً عليه لتجاهله لها عند مروره بمكتبها، مُلقيا تحية الصباح في اقتضابٍ وبدون اكتراث لها، وبدون أدنى اهتمام أو حتى نظرة ترضي بها غرورها الجريح.

وكم انفجر ضاحكاً ملء شذقيه كلما استمع لأقاصيصهم وتلافيقهم من (كريم) مدير أعماله وصديقه المقرب وموضع ثقته الذي لايفارقه معظم يومه، والذي سعى بدوره لتزويجه، وافتعال مواقف تجمعهم بتلك أو هذه، لكن لم تفلح مساعيهِ، وكان كلما فاتح

إبراهيم في هذا الأمر يتهرب منه إبراهيم بلباقة بقوله (لا وقت لدي إطلاقاً لدلال النساء ولا أحتملهم)

مساكين هم، فلم يروا تلك الفاتنة التي تغرقه في بحور غرامها بلا رحمة، وتغنيه بعالمها الساحر عن نساء العالمين، وبغض النظر عن كونها تأسره عشقاً، وبغض النظر كذلك عن تهديدات عشيرتها بإحراقهما معاً إن تركها أو خانها كما أخبرته، فهو أيضاً يمنعه دافعه الأخلاقي النابع من داخله عن خيانتها مع أخرى، فهو يدين لها بكل ما آل إليه من المكانة الاجتماعية والثراء، فإليها وحدها في نظره يعود الفضل في وجود (إبراهيم دياب) ذلك الاسم البراق الذي قلَّ من لا يعرفه في دنيا المال والاقتصاد، وإن كانت تراوده أحياناً بعض التساؤلات البشرية الفطرية :

من سيرث كل هذا الثراء؟ ومن سيكمل هذا النجاح؟ ولكنه سرعان ما يطرد تلك الأفكار ولا يجعلها تتمكن من نفسه؛ فيجيب نفسه دائماً بأن الإنسان لا يمكنه أن يحصل على كل ما يريد على هذه الأرض؛ وإلا فماذا ينتظره في جنة الخلد؟!

كما أنه مؤمنٌ إيماناً كاملاً أن الله قد سخره لخدمة الفقراء ، وجعله سبباً لأرزاق آلاف العاملين في فروع شركاته عبر العالم، وهو دائم الشكر لله على تلك النعمة التي حباه بها.

وفي الحقيقة كلما زادت عنه الأقاويل والشائعات زادت شهرته، وهو الأمر الذي لا يغضبه على الإطلاق، بل إنه كثيراً ما زلزل له الصعاب، وفتح له المغلق من الأبواب، فكم يسر له الحصول على القروض الضخمة من البنوك، وسيرت الصفقات وتيسرت إجراءاتها بسلاسة بسبب شائعة أطلقها أحدهم وذاعت في الأرجاء حول علاقته السرية وزواجه بإعلامية بارزة لها برنامج شهير من البرامج المثيرة للرأي العام، فتتّم صفقات إبراهيم خشية نفوذ تلك الإعلامية أن تفضح من يعرقل خطواته في برنامجها الشهير، مستندين إلى دفاع تلك الإعلامية عنه أمام أحد خصومه وانحيازها الغير مُبرر له في إحدى حلقات برنامجها...

ماكرةً فلولار.. هيأت كل الأجواء لخدمته وتحقيق المكاسب لتصب جميعها في جعبتها.

obeikandi.com

(١٧)

اكتمل لثولار نحت دُميتها كما أرادت تمامًا، ولم يتبق لها إلا الزجُّ بها في خضم معركتها الحاسمة، التي ستحصدها ما سعت إليه إن تمت وتحقق ذلك الهدف المقدس الذي سترتقي به إلى مكانة الحكام في عالمها وتنجو من مصير مظلم داخل ياقوتة.

ستثبت ثولار لمجلس الحكماء وللملك أبنان ولوالدها الذي يظن أنها خذلتها، أنها جديرة بثقتهم، وبما تريد الحصول عليه وأنها قادرة على حماية ممالك الجان من طغيان بني الإنسان، وأنها قادرة على جعل البشر أجمعين ينفذون للشياطين مآربهم.. بل إنها قادرة على ما هو أبعد من ذلك.

ستجعل البشر يدفعون ثمن اللعنة التي لحقت بهم منذ خلق أبوهم آدم.. لقد دأبت ثولار على أن تسقي إبراهيم الشر بملعقة الخير، وأوجدت دومًا له المبررات الأخلاقية التي تدفعه بها للقضاء على خصومه بضمير مستريح، فتكبيدهم الخسائر لا بأس به؛ فهكذا يكون السوق وهكذا تكون التجارة تقوم على المكسب والخسارة، فإن لم يكبدهم الخسائر كيلوها له، كما أن مكاسبه تفيد الفقراء وأصحاب الحاجة وأعمال الخير، أما خصومه فماكسبهم ستكون لهم وحدهم ولن يصل للفقراء منها شيء، وبهذا

يرضى ضمير إبراهيم ويستكين، بل يُطلق الأغاريد وهو يؤذي
خصومه بدم بارد.

اليوم... قام كريم بترتيب موعد هام لإبراهيم مع (د.أسعد
الصفواني) ذلك الوزير الفاسد والمقرب من بؤرة صنع القرار وهو
يحتاج دوماً لدعمه؛ لتمرير صفقات من نوع خاص، ذلك الدعم
المدفوع الأجر مقدماً وبالعملة الصعبة، والذي يتم تحويله في
هدوء تام عبر حسابات الطرفين في بنوك سويسرا، ولكن
إبراهيم دائماً ما يُقنع نفسه أن هذا النوع من الرشاوى
والإكراميات أو أياً كان مسماها، تنتفي حرمتها نظراً للمنفعة
التي تُجلب من ورائها والتي يصل للفقراء نصيبهم منها.
وإن لقاء اليوم في تمام الساعة مساءً سيكون له طابع خاص،
فهو للاتفاق على دعم من نوع جديد، دعمٌ ستكون تكلفته أعلى
بكثير من كل ماسبق، ذلك أنه سيسهل له الحصول على الحصانة
الدبلوماسية التي تُمنح من خلال انضمام صاحبها لعضوية البرلمان
مُمثلاً عن الشعب كما هو مفترض، تلك العضوية من شأنها أن تفتح
المغاليق من الأبواب، وبالطبع هذا له ثمنه الخاص الذي سيدفعه
إبراهيم بكل ترحاب، وبلا أدنى مفاوضات؛ فليده من المشاريع
الضخمة التي يرى أنها ستخدم الفقراء وستوفر للكثيرين منهم
فرص العمل ومصادر للدخل، و لن يتم هذا إلا من خلال حصوله
على تلك المكانة التي تقربه من مراكز صنع القرار.

في شقة فاخرة في الطابق السادس في إحدى البنايات ذات الموقع المتميز والمُطلّة على ميدان هام في قلب العاصمة المكتظة بالصخب، والتي تُعد مقراً لكل الصفقات التي لها صفة الحصانة ضد القوانين، ومن المثير للعجب أن بطل هذه الصفقات أحدُ أباطرة القانون (أ. د. أسعد الصفواني) داهية القانون الذي درسه حتى توحد معه وأصبح ينظر من داخله ليرى العالم من خلال ثقوبه لينقذ من خلال تلك الثقوب إلى حيث أراد.

وكعادة إبراهيم دائماً يصل في موعده المحدد، ويقود سيارته بنفسه عندما تكون المقابلات من هذا النوع، ربما احتراماً لقدسية الخطيئة التي هو مُقبلٌ عليها؛ فقد اعتاد أن يعطيها حقها من التبجيل؛ احتراماً لما تفعله في العقبات من تذليل....

يا له من مبدأ !

برعت ثولار حقاً فيما صنعتُ به...

... ومع دقائق الساعة الحائطية العتيقة ذات البندول مُعلنةً حلول السابعة مساءً قرع إبراهيم الباب بالمطرقة النحاسية المعلقة عليه من الخارج، ليفتح الباب (د. أسعد) بنفسه فهو ينتهج ذات المنهج مع الخطايا القانونية... يهبها التوقير اللائق بها.

وبترحابه المعهود ذي الطابع المرح استقبل رجل الأعمال الواعد إبراهيم دياب الذي دلف وبصحبه علبة الشوكولا الأنيقة، تلك التي يعشقها د. أسعد، ليس فقط لطعمها الفاخر، وإِذاً لكون كل حبةٍ منها تُلف بعناية مع قطعة ذهبية خالصة من فئة الجنيه الذهبي... هدية أنيقة لا تُقدم إلا من رجلٍ أنيق لتليق بما سيجنيه من المكاسب، وتعطي انطباعاً عن مدى سخائه.

• والّاو.... (قالها د. أسعد مُعبراً عن إعجابه بذوق إبراهيم الراقي) ذوقك بالغُ الرقي إبراهيم بك، ليس فقط في اختيار نوعية الشوكولا، ولا قيمتها بالفعل، ولكن في الصندوق الكريستالي الفاخر المُبطن بالمخمل الأحمر الذي ترفّد فيه قطع الشوكولا في أنيقة لتبدو كعلبة مجوهرات ثمينة، بل هي كذلك بالفعل.

• أوووه لا تقل هذا فضلاً د. أسعد، إنها أقل بكثير من مقامكم الرفيع

((تعلّم إبراهيم من طول المراس في عالم المال والأعمال كيف ومتى يكون مجاملاً فوق العادة))

بادره د. أسعد:

• حدثني كريم أن هناك أمر هام، مارأيك لو نتحدث ونحن نتناول معاً الطعام فأنا أتصور جوعاً وانتظرتك لنأكل معاً، سنفترس اليوم عشاءً متميزاً جداً... ثق بي.

• قال إبراهيم ضاحكاً بصوت جهوري : أنا متأكد من ذلك، ولكن ! ماذا أعددت لنا أيها الشيف العجوز؟

• لااا، عليك ألا تسأل كثيراً في هذا الأمر، فعلى مائدتي تجتمع البلدان من أقصى الغرب إلى لبنان؛ فأنا ذواقه أحترف الأكل في كل مكان، أنتقي أصنافاً مبدعة، وأصمم مائدة تجتمع بها كل الألوان...

• هاهاهاها... وشاعر أيضاً يا د. أسعد؟

• فيما يخص الطعام... وعندما أتصور جوعاً فقط ينساب الشعر من بين شفتي وتخرج كلماتي كالألحان.

• يبدو أن الأمر شهياً حقاً، فكلما تك خرجت بالفعل كالألحان هاهاهاهاها.

• بالطبع، وأكثر من مجرد شهية، فلدينا على مائدة عشاء اليوم
يجتمع قياصرة روسيا مع فرسان أوروبا وفاتنات الشرق ليضعوا
أجمل ما لديهم جميعاً في متناول يديك وتحت إمرتك..

• يا للعجب!.. العالم على مائدتك اليوم إذن.

• بالطبع.. ها.. ما رأيك؟

لدينا حساء الحمام المصري لفتح الشهية، ثم بيف استراجانوف
بحببات الفلفل الأسود والكريم صوص مُقدم مع الفيتوتشيني
ألفريدو بالخضروات وكبد الإوز بالشامبنيون أما السلطات
فايطالية، والزيتون أسباني، والنبذ فرنسي.. هذا الأخير لي أنا
فأنا أعلم أنك لا تحتسي الخمر عسير البرتقال في انتظارك.

أما عن الحلوى فحدث ولا حرج؛ فلدينا من مصر العزيزة أم علي
بالمكسرات، وحلويات شرقية من لبنان، وكريم كراميل إنجليزي،
وجاتوه فرنسي، وسينابون سويدي... أرايت؟ على مائدتي...
العالم بين يديك...

ضحك إبراهيم مكملًا : والإسعاف من مصر بالطبع.

سارا معًا تسبقهما أصوات ضحكاتهما الصاخبة إلى مائدة الطعام
بعد أن أذاب الحديث الودود الثلج المتراكم على مدخل الحوار..

فالساسة ليست كامال.. في المال السرعة تحسم الأمر لك،
بينما في السياسة التأني والحذر هما من يفعلان ذلك.

شعر إبراهيم ببعض الضيق حيث لم يعتدّ طول الانتظار، وليست
تلك النتيجة العائمة هي ما جاء من أجلها الليلة، ولكنه شعر أن
هناك خطبٌ جللٌ عليه أن يستكين استعداداً له.

عاد إلى ثولار مستشارته التي لا يثق في سواها وأخبرها بما تم
بينه وبين د. أسعد ولم يفاجأ كثيراً بأنها تعلم ولكن ما فاجأه حقاً
هو ما ألمحت له به إن ما ينتظره في الفترة المقبلة أكبر بكثير
من مجرد ذلك الكرسي المتواضع الذي كان يود السعي إليه،
بينما رققت من داخلها انتشاءً بطموحه في الوصول إلى السلطة.

ياااه يا ثولار... لقد نجحتي بحق ! لن يُحدّ طموح إبراهيم شيء..
سينفذ ما أريد منه كما أريده تماماً.

هكذا هنأت ثولار نفسها وهي تستعد لإقحامه في المزيد والمزيد
من المطامع والأخطار...

اقتربت لحظة الحسم، تلك اللحظة التي تنتظرها قُولار، وهي تكاد لا تنام وإن نامت تستيقظ فزعاً تتراءى لها تلك الياقوتة المرصودة تتدلى أمام عينيها في تحدٍ مستفز، منذ أن أتاها مؤخراً إنذارُ الملك أبنان ملك ملوك الجان اشتعلت النيران داخلها ولم تتمدّد، حيث ذكرها بأن الوقت يمضي سريعاً ولم يتبقّ في مهلتها الكثير، كما سقّه كثيراً من إنجازاتها المتواضعة جداً حتى الآن، وتهكّم عليها مهنئاً إياها بزواجها من شابٍ وسيم إبراهيم وتيسير أعمال الخير له، وعبر لها عن استيائه بأن إنجازاتها لا تعدو كونها أفسدت قلب إنسي واحد وضللت الفاصل في قلبه بين الحق والباطل، وهي مهمة يسيرة ينجزها طفلاً عابث في مملكة الشياطين، وإنها اقترفت الكثير من المحاذير لتصل لتلك النتيجة المتواضعة، سجدت أمامه باكية متضرعة تتوسل إليه ألا يحكم على نجاحها الآن، وأخبرته بأنها قد أوشكت بالفعل أن تحقق مآربها، فلم يرق لها قلبه، بل نهرها وأمرها بالانصراف من مجلسه فوراً، وإلا هشم رأسها بطرف صولجانه، وأمر تلك الكوبرا القابعة بين يديه أن تلتف حول عنقها ولا تتركها إلا جثة هامدة، مُقسماً لها أن وعده لوالدها هو من يُفرغ عليه الصبر

حيالها، ولكن لذاك الصبر حدودًا ، وسينفذُ لا محالة، لذا عليها بالإسراع قبل أن تلتهمها الياقوتة لتقبع في الظلام إلى الأبد.

كلُّ هذا الغضب الذي صبّه على مسامعها الملكُ أبنانَ ثَارَ وفار داخلها، فضاعفت من بَثِّ سمومها في نفس إبراهيم، وكعادتها تدسّ السم في العسل فيتناولُه عن طيب خاطر ويسري فيه بهدوء ليهضمه فيتحول مع الوقت لجزء لا يتجزأ من نسيج أفكاره، فأخذت تحدثه عن العدالة في مملكتها وكيف أن عالم الإنس يفتقر لمثل تلك العدالة، مُشيرةً إلى جُور الحكام واستثثارهم بنعيم الدنيا ، والفقر والعوز والجوع والعري الذي يحيا فيه الفقراء ، و لولا أن عناية الله قد سخرت لهم أمثال إبراهيم لقتلهم الفقر والبؤس، ولا تنسى بين طيات حديثها أن تحمد فيه اختلافه عن هؤلاء الحكام ، وأنه مميز بقلبه العطوف عن باقي الأغنياء الذين تنعدم الرحمة في قلوبهم، وإنها كم تتمنى لو أنه يتولى زِمام الحكم في دولته لينصف المحتاجين والفقراء ويرفع الظلم عن المظلومين ويعيد الأمور لنصابها ، وكان يستقبل حديثها بعين الأمنيات التي ينفقها البشر في الحديث ليس أكثر.

حدثته كثيرا عن الحرية في مملكتها، الحرية في كل شيء، في المعتقد والأفكار والتصرفات والاختيارات، ولكنها تلك الحرية المنضبطة بقواعد وقوانين يحترمها الجميع، فكل فرد في مملكتها حر مالم يضر، وكلّ منهم مسئول عن نفسه وما يعتقدُه وما

يختاره، لا يُجبر على شيء ولا يناله عقاب إلا إذا أتى من الأفعال ما يضر غيره من أفراد قبيلته أو مجتمعه، حينها فقط يُعاقب وتُنفذ فيه القوانين أيًا كان مركزه ومكانته، وأنها هي ذاتها وهي الأميرة ابنة الملك العظيم قطربان كان سينالها العقاب لو اخترقت هذه القوانين وكانت ستُحرق إن هو رفضها ورفض زواجه منها، فلن تحميها مكانتها ولا منزلة والدها من القانون، وأن هذا العقاب الذي كانت ستناله بسبب زواجها من إنسي؛ وهذا يحرمها على رجال الجان إلى الأبد، كما أن رفض الإنسي لها يجلب لها ولقبيلتها ولجميع بنات جلدتها الخزي والعار، ثم تقارن له بدهاء بين موقف ممالك الجان من زواجهما وكيف تمّ الاحتفاء بهما وبين الإنس، مذكّرةً إياه بأنه لا يستطيع الإفصاح أبدًا عن حقيقة زواجه منها وإلا أتهم بالجنون وأحتجز في مشفى للأمراض العقلية وسلب من كل أمواله وهيبته، فحكم عليه بإخفاء أمر زواجه منها للأبد.

كان إبراهيم يستمع لها دومًا، وتنساب أفكارها لتترسخ داخله دون أن يشعر، وكانت هي لا تكفّ عن الوسواس، سواءً في حديثها معه أو في اختراقها لأفكاره في صحوه ومنامه.

تكرر دومًا أفكارها بصيغ مختلفة وتحرص دومًا على ذم المسؤولين والفاستدين في مجتمعه، الذين أضاعوا حقوق الناس وأهدروا كرامتهم، وكثيرا ما تتباكى وتنهمر دموعها ويرتجف

جسدها مُدعيةً الحزن والحسرة البالغة على الفقراء وبؤسهم في هذا البلد، ورثاءها لحالهم البائس الذي لا أمل من إصلاحه في ظل حكم هؤلاء الظلمة الفسدة، وتنتحب حتى تتفرض وترقي بين أحضانه وهي تردّد في استعطاف له:
ليتني أملك أن أنزع عنهم سلطانهم وأهبه لك يا حبيبي لتردّ الحق لأهله.. ليتني أملك أن أكفك دموع البائسين المحزونين في عالمكم هذا !

فيشتعل الغضب داخله بصمتٍ ويلعنهم في نفسه ويقسم بأغلظ الأيمان أنه لو وافته الفرصة فلن يرحم منهم أحداً وسيقدمهم فرائس للوحوش الضارية جزاءً وفاً لما أفسدوه في الأرض.

أمسك بطرف ذقنها بيده ورفع وجهها نحوه، ومسح دموعها وهو يعدّها أن يبذل مافي وسعه لرفع هذا الظلم، وطلب معونتها لترشده إلى الطريق لذلك وسيبدأ من ساعته في التنفيذ؛ فلا شيء يعدل في نفسه أكثر من أن يرضي الله ويسعد قلبها الحزين، ولا شيء يسعده أكثر من إسعاد الفقراء ورسم بسمّة الأمل على شفاههم، موضحاً لها أن قوانين عالم الإنس مختلفة وليس باليسير في عالم الإنس أن يصل أيّ إنسان بسهولة لسدّة الحكم.

هدأت نفسها وغمرتها السعادة، وهي تراه قد ابتلع الطعام
وبادرتة قائلة :

• التغيير... إنه التغيير يا إبراهيم، لابد من التغيير، يجب أن
تنتهي تلك الأنظمة القمعية الظالمة المستبدة وتذهب إلى زوال،
ليحل محلها أمثالك من ذوي القلوب الطاهرة والعقول المستنيرة،
يجب أن يصل إلى الحكم من يستحق ذلك.

أتعرف؟ الشباب الواعي المثقف هم سبيلك ومفاتيحك للوصول إلى
ذلك، وأنت لديك الكثير منهم في شركاتك بكل فروعها في
وطنكم العربي البائس هذا.

• الشباب في شركاتي؟ ماذا تعنين؟ وكيف؟ وضح لي أكثر ما
ترمين إليه يا ثولار... كيف يمكنني بلوغ هذا التغيير بهؤلاء الشباب؟

• يا إبراهيم أنصت إلي جيداً... إن شباب شركاتك في جميع
أنحاء الوطن العربي، هم من فئة الشباب الواعي ذوي التعليم
المتميز، كما أنهم يحترمونك وينظرون إليك نظرة ملؤها التبجيل
والانبهار بذكائك ونجاحك، ويرون فيك مثلهم الأعلى ويقتدون بك
في كل شيء حتى أنهم يقلدون طريقة حديثك واختيارك
ملابسك، ألم تلاحظ ذلك؟

• بلى، لقد لاحظت ذلك فعلاً وسررت به حقاً، فهذا يعكس حبهم لي.

• نعم، إنهم يحبونك لأنك عطوف تعطي بسخاء ولأنك عادل وناجح أيضًا، إنهم يتمنون أن يصبحوا في مثل جزء بسيط من نجاحك وتميزك وعدالتك، وعليك أن تستغل محبتهم هذه لتقودهم وترشدتهم إلى الخير؛ فلا تبخل عليهم بالخير.

• حسنًا، بالتأكيد لن أبخل ولكن كيف علي أن أبدأ في ذلك؟

• ما رأيك يا حبيبي أن تُعد لهم دورات تدريبية توعوية تساعدكم فيها على اكتشاف جوانب القوة والتميز لديهم، واكتشاف مواهبهم؛ فتبث فيهم الثقة في أنفسهم، وتمنحهم الرغبة الحقيقة في إحداث ذلك التغيير في مجتمعاتهم، وعندما ترسخ هذه القنوات داخلهم سيدركون بأنفسهم مدى ظلم حكامهم وجورهم ومدى المسئولية الملقاة على عاتقهم كشباب واع، مثقف، متميز، قادر على إحداث التغيير في المجتمع، وعليك أيضًا أن تذكرهم بمسئوليتهم أمام الله، فهم يرون المنكر ويمتلكون القوة لتغييره ولا يفعلون.

• حقيقةً، هذا صحيح ! لكن كم من الوقت والجهد أحتاج لفعل كل هذا؟

• صدقني يا إبراهيم لو التفَّ حولك هؤلاء الشباب لفعلت بهم المستحيل في عالمكم البائس هذا، ولغيرت بهم كل تلك الثوابت البالية، وفي زمنٍ قياسي أيضًا.

لقد رأيت بنفسك كيف يعيش الجانب الآخر من عالمكم، وكيف استطاع أن يحقق العدالة والحرية والديموقراطية، وكيف يحيون هناك حياة أكثر سعادة، وأكثر ترفاً ورفاهيةً، حياةً متقدمة تختلف كثيراً عن حياتكم هنا، هذا لأنهم سمحوا للعقول الشابة المستنيرة أن تقود المسيرة، ولم يتشبث كهولهم بالحكم، وهم يتأكلون بين براثن الشيخوخة.

لقد سافرت بنفسك إلى معظم البلدان، ورأيت الفارق الكبير بين ما وصلت إليه مجتمعاتهم من تقدم ورقي وبين ما تقفون عنده وترزحون تحت وطأته من تأخر.

• نعم يا ثولار، صدقت، إنه شيء مؤسف حقاً، لقد حملنا ذات يوم منارة العلم والحضارة للعالم أجمع ثم تهاوينا إلى قاع سحيق بدى من المعجزات أن نخرج منه.. ولكنني أعدك أن أبدأ من فوري في محاولة الخروج إلى النور، وأن أضع خطة مناسبة لبث الوعي والثقافة والحماس في نفوس هؤلاء الشباب، حتى وإن واصلت الليل بالنهار وسافرت إلى كل بقاع الأرض، حتى يتسنى لي لقاء أكبر عدد منهم ونشر الوعي بينهم.

• وأنا بدوري سأساعدك حتماً في ذلك، المهم يا إبراهيم أن تحافظ على السرية حتى لا ينالك أذى من هؤلاء الحكام الظلمة، ولا

تنس أنك بما تفعله تزلزل عروشهم التي بنوها بالقهر والفساد
والظلم لمن تحت أقدامهم.

• معك كل الحق، متى تحبين أن نبداً؟

• الآن

• تزوجتُ جنية عفريته، لا تعرف معنى التروي وهدوء التفكير.

• نعم ، أنتم تهدرون أعماركم في التروي والتفكير هذا الذي
تحكي عنه.

• هيا إذن لنبدأ من تونا... الآن دون تأخير يا جنيتي ، سنُعدّ معاً
خطة عملٍ محكمة، ونبدأ في تنفيذها على الفور، لقد أشعلتِ
الحماس داخلي لبذل أيّ شيء في سبيل محاولة التغيير تلك.

أخذته ثولار إلى حيث حاسوبه لتبدأ في تنفيذ أولى خطوات خطة النهاية لما سعت إليه مستغلة ثورة الحماس التي نجحت في إشعالها داخل نفسه، وإمعاناً في زيادة اشتعاله أرشدته إلى مواقع ذات طابع سري خاص وفتحت أمامه المغاليق والمحاذير لتضعه أمام وثائق غاية في السرية والخطورة توضح له بها مدى الفساد والجور الذي غرق فيه هؤلاء الحكام إلى آذانهم وصفقاتهم المحرمة التي مصوا بها دماء شعوبهم ليتروهم فريسة للفقر والمرض، بينما أضافوا هم إلى أرصدتهم مئات المليارات وأطنان الذهب والجواهر...

تساءل إبراهيم في دهشة وذهول من هول ما رآه من كم الفساد اللاحتمل واللامعقول..

• من أين لك بكل تلك المعلومات الكارثية يا ثولار؟ كيف توصلت إليها؟ إنها تعود لعدة عقود من الزمن، كأنها يتوارثون الفساد فيما بينهم وكأنه يسري في عروقهم مسرى الدم، ويتداولون راياته بينهم جيلاً بعد جيل، وكأنه مملكة موصدة عليهم !!

• تعلم يا إبراهيم أنه بقدر مافي مملكتي من العدل بقدر أيضاً مالدينا أشرار ملاعين، شرهم مستطير، وخطرهم كبير، يحاربون الأخيار منا، ويؤذوننا بمساعدتهم لأشراركم والاتحاد معهم ضد الجميع، وكلما عوقب منهم فريق ظهر آخر، إنها الحرب الأبدية يا عزيزي بين الخير والشر، سيظل شرهم موجوداً وسيظل الأخيار لهم بالمرصاد، إنه قانون الحياة..

• وماذا يضيركم في ممالككم من الشر الواقع علينا في مجتمعاتنا وعالمنا؟

• كيف يا إبراهيم؟ ألسنا نتشارك معكم ذات الكوكب؟ ألا يؤذينا ماتفعولونه من عبث بالطبيعة التي خلقها الله لنا جميعاً؟

لقد قسم الله الأرض بيننا وبينكم بالعدل، لكنهم يغيرون هذه القسمة ويعبثون بها ويزينون لكم غزو أراضينا؛ فنضار نحن ونختنق في أراضينا وقد يموت منا الكثير كذلك من جراء ذلك، بينما يقوم هؤلاء الشياطين العابثين بإغراء حكامكم وفاسديكم بكثرة المال ودوام الجاه والسلطان لتحقيق مآربهم الشريرة.

• وماذا يستفيدون من ذلك؟

• إن لهم مصالح مشتركة، فهم حينما ييسطون النفوذ لأشراركم يزداد نفوذ مملكة الشر التي تحارب ممالك الخير عندنا منذ الأزل،

وأنا، كما تعلم من ممالك الخير وقد ورثت رغماً عني كابنة أحد أقوى ملوك الخير مهمة محاربتهم، وتخليص العالم من شرورهم، فإن حاربونا هم بأشراركم، نحاربهم نحن بأخياركم ونظل كذلك حتى يعلو صوت الحق وينتصر، ويعم الخير ويزدهر، وتكون كلمة الله هي العليا.

إن الحرب بين الخير والشر كما قلت لك سلفاً ستظل قائمة حتى ينتصر الخير يوماً ولعله يكون يوماً قريباً، أتدري كم أريدك يا جيببي أن تصبح من جند الخير على هذه الأرض!

• بالتأكيد سأفعل ما بوسعي يا ثولار، فالسعي ليعم الخير والسلام والمحبة من دروب شكر النعم، وأنا ولله الحمد قد حبانى الله بالكثير منها وأنت أغلى هذه النعم، أتدريين يا حبيبتي؟

• ماذا؟

• بتّ أشعر أن الله قد اختارني بزواجي منك لتلك المهمة بالتأكيد ، إذ كيف تكون زوجتي أميرة في ممالك الخير التي تحارب الشر في العالم، ولا أساندها في ذلك؟ أظن أن هذا دوري الذي وجب علي القيام به في هذه الحياة.

• عذراً يا جيببي مافكرت في ذلك عندما أحببتك ، أنا فقط أحببتك لأنك أنت من اختاره قلبي ، وما كنتُ أهدف أبداً للزج بك

في حروبنا، وسعيثُ كثيرا أن أبعدكَ عن تلك الحرب الضارية، واكتفيثُ بما تقوم به من خدمة الفقراء، ولكن رغباً عني أقحمتكَ فيها عندما استفحل أمر هذا الفساد والجور، ووجدتُ أن كل ما نقوم به من الخير معاً لا يكفي للوقوف في وجه الظلم ولا يسدُّ حاجة الفقراء.

• ولكن يا عزيزتي! أخشى أن يكون الأمر ليس بالسهولة الممكنة، وأخشى ألا نستطيع الوصول لما نصبو إليه.. أنتِ محقة في وجوب توخي الحذر قدر المستطاع، والإسراع كذلك في التنفيذ قبل أن يفسد الأشرار تخطيطنا للنيل منهم.

• نعم، يتوجب علينا ذلك. أما الآن فعليك أن تحتفظ على حاسوبك بنسخ من كل تلك الوثائق التي أمامك لأنك ستحتاج إليها لاحقاً في توعية الشباب الذين سيعينونك على تنفيذ مهمتك وتحقيق العدالة.

• سأصل الآن بكريم، ليبدأ في إعداد خطة زمنية، وجدول لمحاضرات التوعية لهؤلاء الشباب.

• لكن ! احذر. لا تخبره إلا بالقدر الذي يسمح له بمعاونتك، حتى تتيقن تماماً من إيمانه بقضيتك، ومساندتك فيها، وكن دوماً على حذر وأنت تخطو كل خطوة، لأنك تخطوها داخل عرين أسود ضارية لا تعرف الرحمة.

فلتستدعِ كريماً بدايةً وتخبّره برغبتك في الاجتماع بالشباب الذين يلمس فيهم الذكاء، والرغبة في التغيير للأفضل، لأنّ لديك برنامجاً خاصاً لتدريبهم ومساعدتهم على اكتشاف ذاتهم وقدراتهم الخاصة ومواهبهم، حتى وإن كانت تلك المواهب بعيدة عن مجال عملهم، وذلك لوضع أقدامهم على بداية الطريق الصحيح لمستقبلهم الواعد.

• علي إذن أن أستعين بأساتذة التنمية البشرية لهذه المهمة.

• الأمر أبسط من ذلك بكثير ومحاضراتهم ومؤلفاتهم تملأ شبكة الإنترنت ويمكنني مساعدتك للاستفادة منها وتطويعها للغرض الذي ننشده.

المهم الآن أن يجهز كريم جدولاً للمحاضرات المبدئية في كافة البلدان التي بها فروع لشركتك، وأن يُعلن عن مكافآت مجزية وترقيات ورحلات ترفيهية للمتفوقين في تلك الدورة التدريبية، ليزداد الإقبال عليها.. صدقني.. سيبهرك استقبال الشباب لأفكارك البناءة، ذلك لكونك تحترم فكرهم ولأنك ستعينهم على إخراج مواهبهم التي كثيرا ما أهملوها ولم يبحثوا عنها في خضم بحثهم عن الرزق، أو تعرضوا للسخرية ممن حولهم على تلك المواهب، فلطالما تشوّق هؤلاء الشباب لمن يستمع لهم ويحترم أفكارهم ويناقش آراءهم دون تهكم، ولا تنس أنك كنت يوماً مثلهم، عانيت

مثلما يعانون من عدم إيمان من حولهم بمواهبهم ومن عدم إيمانهم بأفكارهم، وحرّبت عندما فاق نجاحك توقعات من حولك، لذا أنت أقدر من يفهمهم ويشعر بهم ويتواصل معهم، كما أن الجميع يتوق لتنسم أجواء الحرية والعدالة، الجميع يتمنى أن يعيش بكرامة دون أن تهدد مجتمعه أشباح الفقر والجهل والمرض التي أغرقهم فيها حكاهم، ولكن!.. دعني أكرر لك تحذيري فالمعلومات التي بين يديك بالغة الخطورة، ويجب أن تسقيهم منها بحذر قطرةً قطرةً وبالقدر الذي يحقق أكبر النفع، ولا تنس أنهم شباب وحماسهم دومًا فائر ثائر يكاد أن يقفز من بين جوانحهم.

• هيا إذن لنعد البرنامج قبل أن أستدعي كريم لبدء التنفيذ.

• هيا.. سأعينك دومًا وستنجزه سريعًا.. سنبدا الآن.

وهكذا.. ستسري سموم الشيطانة ثولار في عقول الملايين وقلوبهم حتى لا يسخر منها الملك أبنان بأنها لم تفلح إلا في إغواء إنسي بائس وحيد، ستريه أخيرا من هي ثولار وإلى أي مدى تصل قدراتها ويستطير شررها...

اشتعل الحماس حقًا في قلب إبراهيم وانصاع لإغواء ثولار وبدأ بالإعداد لبرنامج التوعوي للشباب، وهي تعينه بكل ما أوتيت من قوة وتمدّد به بكل ما يحتاج إليه حتى يصل إلى هؤلاء الشباب؛ لتصنع منهم سلاحًا فتاكًا، فنظمت كلّ شيء كما يجب وبطريقتها البارة في لبس الحق بالباطل والتضليل والتدليس وتزييف الحقائق وتزيين الضلال وإلباسه ثياب الحق، أصبح البرنامج مُعدًّا في زمن قياسي لإعداد جيش من الشباب بكل ما يحملونه بين جوانحهم من ثورة وحماسة لم تُطفئ نيرانها الخبرة والحكمة بعد؛ وهذا كل ما تحتاجه ثولار (ثورة بلا حكمة) تثير بها الفوضى العارمة في كافة الأرجاء، وتربك القادة وتشلّ تفكيرهم، ثم... !! كل ما ستؤدي إليه من خرابٍ وارتباك ستجيد ثولار الاستفادة منه، واستغلاله لصالح مملكتها كما يجب لتصل لما تصبو إليه، وإن كانت إراقة الدماء ليست هدفها في تلك المرحلة ولكن لا بأس إن أتت فهي تجلب غيرها متى سفت، وهذا يسعد قومها ويرضاهم عنها ويعزّز موقفها بينهم.

.. وبعد أن اكتمل إعداد البرنامج بدأ إبراهيم فوراً في تنفيذه بمساعدة كريم الذي آمن بأفكار إبراهيم وتسلمت إلى نفسه سموم ثولار أيضاً في سلاسة ويسر لشدة بريقها وارتدائها ثياب الفضيلة؛ فقام بدوره بوضع خطة دراسية ممنهجة وشديدة التنظيم تضمن حصول أكبر عدد من الشباب على إعداد جيد وسريع، ولمزيد من جذب الشباب أعدّ هذه الدورات على هيئة منح دراسية يتم تدريسها بالخارج في فروع الشركة عبر العالم، أي أنها دراسة وسياحة، فوفر لهم السفر والإقامة في الفنادق الفخمة والتنقلات بالإضافة إلى المكافآت المجزية للمتفوقين منهم.

كان لهذا مزايا خفية أخرى عديدة، كإبعاد المتدربين عن أعين حكوماتهم بشكل طبيعي وغير مثير للشبهات، وانتزاعهم من قلب مجتمعاتهم البائسة وإطلاعهم على مجتمعات أخرى فاقتهم تطوراً بمراحل كثيرة، ليثير ذلك انبهارهم، ويشتعل إحساسهم بالحسرة والغيرة على بلدانهم وتتولد رغبتهم الصادقة في تغيير مجتمعاتهم؛ لتصبح مثل تلك المجتمعات وتلحق بركب الحضارة والتقدم.

وبالفعل.. تحقق الهدف وانجذب عددٌ كبير جداً من الشباب للاتحاق بتلك الدورات التدريبية بشكل فاق توقعات إبراهيم، وربما توقعات ثولار أيضاً.. فلكم فاقت أطماع البشر طموح الشياطين!

سار العمل على قدم وساق وأصبح لدى إبراهيم وثلولار جيش لا يستهان به من طاقات الشباب التي تتأهب للانقضاض على حكاهم وحكوماتهم بلا رحمة، بل وافتراسهم بكل غضب، وتنفيذ ما أعدت له ثلولار بدقة بالغة..

والآن... قد حانت ساعة الصفر.

obeikandi.com

(٢٢)

ساهمت الوثائق التي أوجدتها ثولار بالفعل والتي لا يعلم مدى صحتها من زيفها إلا الله وحده، في اندلاع ثورة الشباب العارمة في كل الميادين مُطالبين الحكام بالحرية والعدالة والكرامة وتوفير أبسط حقوق الإنسان لشعوبهم البائسة.

رابط الشباب في الميادين ليدلّ نهاراً، ونفذوا بدقة كل ما تدربوا عليه في صمود، وتحدي، وعصيان، وتمرد، وإصرار على موقفهم موحدين كلمتهم لايحيّدون عنها ولا يستمعون لغيرها.

ليس ذلك فحسب، بل انضم إليهم أهاليهم، ورفاقهم وكل من آمن بفكرتهم وتفاعل معهم، فتضاعفت أعدادهم وفاقت كل التوقعات، حتى عجزت بهم الميادين في كافة أنحاء البلاد مما زاد من حماسهم وإصرارهم على تحدي الأنظمة الحاكمة، وازداد صمودهم، وارتفعت أصواتهم بمطالبهم، وبلغت ثقتهم بأنفسهم عنان السماء.

لم تكن ثولار هي الشيطانة الوحيدة التي دبّرت وخطّطت؛ فقد كان لها منافسين وأعوان، وكل الأطراف أدلّت بدلوها في إدكاء

نيران الفتنة التي تأججت، فلهم هدفٌ مشترك يجتمعهم في هذا الميدان، وقد صدّقها كبير الحكماء في وعده لها بالدعم الكامل لشرورها فجندهم جميعاً لخدمتها وتنفيذ ما أعدت له، وإن كانوا قد تركوا لها مهمة الإعداد لإطلاق الشرارة الأولى لأنه يُشهد لها بحسن تدبيرها، وحسن اختيار أدواتها من جهة ومن جهة أخرى تنفيذاً لأوامر الملك أبنان الذي رفض أن يعينها أحدٌ حتى تنجح في إشعال النيران.

باتت تراودها الأحلام والأمنيات بإسقاط تلك الدولة الصنديدية العَفِيّة العتية الأبية، التي سيدوي سقوطها حتماً وستتوالى البلدان في السقوط بعدها بكل يسر وسهولة وحينئذ سيمهد الطريق لسيطرة مملكة الشياطين ومدّ نفوذها، و لن يقف أمامها شيء بعد ذلك، المهم أن تسقط بدايةً تلك الدولة العصية وتتحطم تلك الصخرة الجَلُمود ليهدر بعدها سيل الهزائم وتغرق الأرض في الدماء لترقص حينها مملكة الشياطين طرباً واحتفالاً بتنصيب الشيطان الفائز مَلَكًا جديدًا من ملوك الجان ويشربون نخب تنصيه من الدماء المراقبة من بني الإنسان، وعندئذ تنفث النفاثات في العقد، ليتشرد من ظلّ من البشر، وتشتعل الحروب في البدو والحضر، فتأكل الأخضر واليابس فلا تبقي ولا تذر...

ولأن الدماء إذا سالت على الأرض فإنها تستدعي غيرها، وتجري أنهاراً، لذا فلا سبيل إلا إراققتها والتدليس في إلصاق تهمتها لرجال

النظام القائم فيزداد الاشتعال؛ ليصبح إخماد نيران الغضب أمراً مُحالاً، وبناءً على ذلك فقد قام أعوان قُولار بوضع خطط تكميلية لخطتها الشيطانية، ودربوا أتباعهم عليها وأتوا بهم من كل البلاد، وحشدوهم في انتظار الميعاد.

فعندما ارتفعت التظاهرات ضد النظام قام جزءٌ من خُدّام الشياطين باعتلاء أسطح البنايات، وتصويب أسلحتهم صوب الشباب الشائر ليسقط منهم القتلى فيلتهب الصراع وتزداد حدته، وتشير أصابع الاتهام للنظام، فيزداد الإصرار والعناد وترتفع الأصوات مُطالبة بالقصاص، بينما شقَّ آخر من أعوان قُولار يسخر أجهزة الإعلام لخدمتها ولنقل الصورة المضللة التي أرادتها ونشرها في الأرجاء بأن النظام يقتل شعبه، أما باقي الأعوان فاتجهوا لهدم مؤسسات الدولة بإمعان، فأشعلوا النيران في كل مكان، ويسروا خروج العتاة في الإجرام من سجونهم، ليتموا مهام الخراب ويَمعنوا في الانتقام من هذا النظام الذي قيد حريتهم وألقاهم لسنواتٍ في غياهب السجون..

ومع انتشار الفوضى في كل مكان ستخرج كل الأمور عن السيطرة، وتعيث الشياطينُ فساداً في الأرض ومن عليها.

إبراهيم يبكي الآن بحرقه، لا بل يَنْتَحِبُ لدماء الشباب الطاهر الذي تولى بنفسه تدريبهم ليساندوه ضد دولة الظلم والطغيان، إبراهيم يراوده الشعور بالندم والذنب لأنه زجَّ بهؤلاء الشباب في تلك الحرب القذرة، لكن ثولار تهدئه دومًا كعادتها وتُخَدِّرُ ضميره بكلماتها ليكمل المهمة التي بدأها.. وهذا دأبها دومًا رَبَتَتْ على كتفه مواسيةً له بقولها :

• لا بأس يا حبيبي.. إنه المَخَاضُ يا إبراهيم ، الحرية تولد الآن ، ولابد للمخاض من آلام؛ فالمولود غالٍ ومغلفٌ بالدماء.

• لكن الموت قاسٍ جدًّا يا ثولار، إنهم لم يجنوا بعد ثمار نجاحهم، لقد دفعوا الثمن ولم يتذوقوا ما دفعوا ثمنه حياتهم وزهرة شبابهم.

• لا تحزن يا إبراهيم.. إنهم شهداء، ماتوا ليعيش الحق مرفوع الرأس مُعْطِراً بدمائهم الزكية، ماتوا لتنتصر الحرية والإرادة الشعبية، ماتوا ليحيا الفقراء بعزة وكرامة وإنسانية.

• يتلعثم إبراهيم ويفقد السيطرة على دموعه حزنًا عليهم.. يصرخ غاضبًا : الموت للظالم، المجد للشهداء...

يركع باكيا جاثيا على ركبتيه.. ينهض ثائرًا.. يجري بلا وعي نحو الميدان.. يلتف حوله الشباب الثائر وهو يصيح باكيا:

الموت للظالم... المجد للشهداء..

تزداد حماسة الشباب اشتعالاً بوجود إبراهيم بين صفوفهم وهتافاته معهم؛ فيرتفع صوتهم بصيحات الثورة ينادون بإسقاط النظام، وهكذا بلغ سقف مطالبهم مداه..

فما عادوا يطالبون بحرية ولا عدل ولا مساواة، ولا عاد الخبز يعنيتهم، ولا القصاص يكفيهم، لا شيء الآن سيرضيهم سوى إسقاط النظام

وهكذا.. عمّت الفوضى العارمة أنحاء البلاد، وانفطر العقد، وبات من المستحيل جمع حباته ونظمها من جديد، فأعوان ثولار ومنافسيها أيضاً اتحدوا مع اختلاف مآربهم وأطماعهم ومشاربهم، وحرك كل فريق منهم معاونيه لإشعال الحرائق وسفك الدماء وتبديد كل ما حفظه التاريخ من علوم وفنون ومعارف؛ فأحرقت الكتب والمراجع والوثائق، وسرقت الآثار من المتاحف، ونُهبت الأموال من المصارف، وأقتحمت المتاجر لنهب كل ما فيها من الغث والسمين.. بدءاً من الذهب والجواهر وحتى فُتات الطعام، حتى البغايا والقوادين وجدوا لهم مكانة ومنفعة فيما يحدث وسطروا لأنفسهم بطولات مزعومة بتلافيهم ليقبلهم المجتمع الذي لطالما احتقرهم من قبل، والتبس على الناس الحق والباطل حيث أرغى الباطل وأزبد وعم أرجاء البلاد وجثم على صدور العباد، وخفت صوت الحق ولم يجد من يستمع إليه، أو يدافع عنه؛ فما كان من السلطة الحاكمة إلا أن تتقهقر

وتتحني أمام الرياح العاتية التي عصفت بكل شيء، حتى الأعراف والثوابت وحتى الأديان والعقائد، وبدأ الأمر كأن أبواب مملكة الشياطين قد فُتحت جميعها في آن واحد، لينهال الشياطين على البشر من كل جانب، فلا يُترك لهم مجالٌ للنجاة من بين برائتهم، ويتزعزع أمنهم وسلامهم حتى بين جدران منازلهم.

وبهذا الحال الذي بات فيه الهدوء أمراً مُحالاً... ماكان من رجال الشرطة والجنود إلا الانسحاب، والتراجع أمام جحافل الشباب الثائر بعد أن اندسّ بينهم من اندس من خُدام الشياطين.. فكان هذا الانسحاب هو السبيل الآمن لحقن دماء الشباب وتهدة الأجواء المشتعلة، وحتى لا يُلصق بهم المزيد من الاتهامات الباطلة.

وأمام هذا الانسحاب تمادى خُدام الشياطين في تبجحهم، واستكملوا مسيرتهم في هدم صروح الدولة، بل وقتل من يعترضهم من الضباط والجنود والتمثيل بجثثهم تحت مسمى الثأر للشهداء والانتقام من الجبابرة والخلص من أذيال النظام الذي أذاقهم ألوان القمع والفساد، وكل ذلك تحت مسميات براءة توحى بتبني قضية وطنية وأخلاقية وتوجد بذاتها تبريرات كافية لسفك دماء الجنود واستباحتها وهدم مؤسسات الدولة بضمائر مستريحة ونفوس راضية تستشعر البطولة فيما تُقدم عليه من جرائم..

وأمام هذا الطوفان الهادر ماكان من قيادات الجيش إلا الانحناء لتلك الرياح العاتية حتى تمر بسلام وبأقل خسائر، فوقف الجنود بالأسلحة والدبابات في الشوارع والميادين لحماية المواطنين من العبث بأرواحهم من قبل أعوان الشياطين.

كما أعلن الجيش انحيازه لصفوف الثوار وإيمانه بأحقيتهم في مطالبهم المشروعة؛ فقام بتنحية النظام الحاكم، ليخفف تلك الحدة، ويحقق نوعاً من الهدنة لإلتقاط الأنفاس، وحتى تتوقف نيران الخراب في كل مكان وتستجمع الدولة قواها المبعثرة لتنهض مرة أخرى.

.. وبهذا انتهت الجولة الأولى لصالح ثولار، أو كما بدا لإبراهيم والشباب أنها لصالح الثوار الذين تمكنت منهم الثقة بأنفسهم ورفضوا كل رأي يثنيهم عن استبدادهم برأيهم ورعونتهم، التي أطاحت بالدولة، وتركها لقمة سائغة يستعد أعداؤها للانقضاض عليها بمخالبتهم وأنيابهم.

نعم، في تلك اللحظة... توقف المنطق وسيطر الحماس والعقل الجمعي على الموقف...

حينذاك... أرسل الملك أبنان تهانيه لبقولار وأثنى على حسن تدبيرها وأبدى إعجابه بإتقان تخطيطها، وحسن إدارتها للمعركة، وما وصلت إليه من نتائج، كما دفعها للمضي قُدماً فيما تفعله بعبارات حماسية لا تخلو من التلويح لها بأن أمر الياقوتة المرصودة مازال قائماً لو فشلت فيما هو آت، فأفقدتها تحذيره المتواري بين طيات التهنئة والثناء، لذة الشعور بالانتصار وقتل فيها الغرور والزهو هما وصلت إليه؛ فجالت وصالت كالمسعورة لتكمل هذا النجاح الذي ملأها تيهاً فوق تيهها؛ فبدأت من توهها للإعداد للخطوة التالية...

(٢٤)

كانت ثولار من الذكاء الذي يجعلها لا تعول كثيراً على إبراهيم وأتباعه من الشباب وحدهم في المرحلة اللاحقة، فهي تحتاج لمن لا يحمل قلباً كقلب إبراهيم، ومن هو أكثر شراسة وأقل ضميراً، تحتاج لمن لا يردعه رادع لتنفيذ ما توعد له به ثولار دون أن تغلف إيعازاتها برداء الخير والصلاح..

تريد تلك الفئة من الأشرار الذين يتناولون الشر بلا مُقبلات وبلا مُحسنات مذاق، مع الاحتفاظ أيضاً بالسيطرة على إبراهيم وأتباعه من الشباب بنفس الأسلوب الذي أتقنته وأتى لها منه بأفضل الثمار، فإبراهيم ومن معه يحبون أن يرتدوا ثياب الفضيلة، وألا تشوب أفعالهم نقائص الرذيلة، وهي تحتاج لهم لأنهم يعتقدون تماماً ما يعتقدون من أفكار، ويؤمنون أنهم كالأنبياء لديهم رسالة، فيحاربون من أجلها بكل بسالة...

وكل هذا يفيد في تضليل العامة من البسطاء وبهم يلتبس الحق بالباطل لدى الجهلاء، ودونها جهد أو عناء يبرعون في تجنيد غيرهم من أنصاف الأذكياء الذين يدعون الثقافة ويتوارون خلف غلاف كتاب لأحد السفاسطة، يرددون عباراتهم التي تبدو وكأنها

نابعة من عمق محيط التجارب والحكمة ولكنها في حقيقتها، لم تبلل حتى أطراف أصابع أقدامها من بحور المعرفة... عبارات جوفاء لكنها تُحدث ضجة، تمامًا كالطبول..

إذن هؤلاء مفروغ من أمرهم، وُضعوا على أول طريقهم وسيكملون، أما الجانب الآخر الذي ستحتاجه الآن ثولار؛ فأولئك المتاجرون بالدين والدماء والمتحدثون باسم إله السماء، وكأنهم المفوضون منه على هذه الأرض بإدارة شئون العباد.

هؤلاء الفئة الضالة هم الآن حقًا ضالتها المنشودة، فهم يتوقون إلى السلطة كيفما تكون وكل أمر عندهم في سبيل حصولهم عليها يهون، وما إِدعاءهم أنهم حماة الفضيلة إلا لكونهم يسعون دومًا أن يكون لهم أتباع وأذيان، لذا تشبثوا بأن تظل صورتهم في نظر السذج من العامة أنهم يملكون أسرار الطريق إلى الله ومفاتيح جنة الخلد.

لقد أصابت ثولار باختيارها لهم الهدف، وسيفيدها كثيرًا ما لديهم من أتباع، فأتباعهم يمتازون بالسمع والطاعة، والبعد عن الجدل والمراوغة، فهم كالأوعية الفارغة التي تسكب فيها الأفكار والمعتقدات سكبًا، فيرددونها كالأبواق التي لا تعي ما يخرج منها، ومن عجب أنهم يتوغلون في كافة مؤسسات الدولة كأذرع الأخطبوط، وينصهرون في المجتمع كما يذوب الملح في الطعام

فيصعب اجتثاثهم، وليس من سبيل لاجتثاثهم، كل تلك المميزات أهلتهن ليوقع عليهم اختيار ثولار وأعانها، فأى شيء سيحتاجون فوق ذلك؟ أجساد بشرية الهيئة بعقول خاوية وقلوب أعماها ظمأها للسلطة والنفوذ، التي لطالما تم إقصاؤهم عنها فزاد شوقهم إليها..

تلك الأجساد البشرية ذات العقول الخاوية، التي لا يحميها وعي ولا ينير عتمة قلوبها صدق الإيمان هي ما تحتاجه ثولار لتسكن فيها شياطينها وتجوس بهم البلاد عابرة بهم إلى ما تريد..

وبالفعل تم لها ما أرادت، واستطاعت أن تحشد حشودها، وأتت بهؤلاء الأوغاد ونشرتهم في أرجاء البلاد وحول حدودها، وسلطتهم على رقاب العباد، فأشعلوا النيران، وأهلكوا البلدان، هتكوا الأعراض ويتموا الأولاد وأسقطوا الممالك، ففاقوا التتار بشاعة وهمجية، واستحالت المدن إلى خرائب؛ فهيأوا الأمر بين يدي ثولار وجندها لتعبث كما شاءت بمصائر البشر بلا رحمة، تُغرق من تُغرق وتُحرق من تحرق، وتهدر الأموال وتزهق الأرواح، وتربك الحكومات والقادة وتستنزف الجيوش وتُنْهك القوى؛ وتصبح البلاد لقمة سائغة يلوکها أعداؤها وتتمزق كل ممزق فيتيسر لها ولأعوانها السيادة.

وإبراهيم تغيرت حياته كلياً ، فقد زجّت به ثولار إلى ساحة صراع لا رجعة منها، وتركته مع الشباب الثائر ليكمل مسيرته؛ فقد أصبح لهم بمثابة الأب الروحي ، استولت قضية العدل والكرامة والحرية على كيانه وكيانهم وتوحدوا معها؛ فباتوا يشعرون أنهم حُماة العدالة ومنبرها، وجنود الحرية وسيوف الحق... لا بأس فكل هذا وذاك سيثري الصراع الذي انفجر ولن يهدأ أو يستكين.

رعاة الحرية والفكر من جهة ورعاة الدين من جهة، وسافكو الدماء سيوفهم مسلطة على رقاب الجميع من جهة أخرى ، والأعداء والطامعون من باقي الجهات... وهكذا يتمزق الثوب إرباً إرباً ولا يستطيع أحد ارتداءه.

هاهي قولار بعد أن نجحت خطتها، واشتعلت بين العباد نيران
فتنتها، باتت على مشارف أن تمسك بمقاليد الحكم، وتعتلي عرش
المُلك في ممالك الجان؛ فأبواب المجد تكاد أن تُفتح لها على
مصراعيها لتتوج ملكةً شيطانة ذات حكم ورأي نافذ وقيادة، وكلما
اقتربت من عرش مُلكها المروم كلما ابتعدت عن الياقوتة فتزول
عن نفسها الهموم..

تراودها الأمنيات فتكاد ترى أحلامها تتحقق... وهي ترى أشلاء
البشر متناثرة على وجه البسيطة بسبب المذابح التي نفذها
أعوانها بدقة متناهية وتزايد يوماً بعد يوم..

تكاد تراهم يتنازعون حتى على شربة الماء..

تكاد ترى ممالكهم، وأوطانهم وقد مُزقت كالثوب البالي، وتناثرت
أشلاؤها، ومملكتها تبسط نفوذها في كل الأرجاء بلا منازع...

عليها الآن أن تكثف جهودها وتطرق على الحديد وهو ساخن
لتشكله كيفما تريد، فتستفيد من تلك الثورة التي تتأجج في
نفس إبراهيم لتفور بها دماء الشباب، لذا فهي لن تترك فرصة إلا
وتحيتها لتبث سمومها في نفسه ويبت أعوانها سمومهم في
نفوس الشباب فيجتمعون على هدف واحد لا يرون سواه، وهو
الالتفاف حول إبراهيم (أيقونتها الأثيرة) لتنصيبه زعيماً وبطلاً
قومياً لتصل من خلاله إلى ما تريد من النصر والأمجاد...

في ليلة فقدت مذاقها كباقي ليالي إبراهيم منذ أن كبلته هموم
الثورة وتجرع دماء ضحاياها.. وقف إبراهيم ينظر من نافذة
مكتبه المطلة على مسبح قبيلته التي يعيش فيها مع قوَلار وقطته
العجوز الواهنة موكا التي رافقته سنوات شقائه وأغدقت عليه من
حنائها، فانتقلت معه إلى هنا لتشاركه أيضاً سنوات هنائه، وقد
استغرقه التفكير فيما آل إليه حال الوطن..

هل هذا الذي آل إليه ما كان يُنشده ويتمناه؟

وهل تنقش غمّة الدماء التي تراق كل يوم لتشرق شمس هذا
الوطن من جديد مزينة بالحرية والعدالة الإجتماعية والكرامة لهذا
الشعب البائس؟

أخذ يحدث نفسه عن مدى حبه وارتباطه بهؤلاء الشباب منذ أن اختلط بهم وامتزجت أحلامه بأحلامهم يرى فيهم عنفوانه ، ويشعر بأبوته لهم ومسئوليته نحوهم، وهو الذي ظل لسنوات لا يخالط البشر إلا في أضيق نطاق ولما تقتضي إليه الحاجة فقط.

حتى في هذه القبلا الفاخرة التي يعيش فيها منذ أن أصبح من الأثرياء، لم يكن لديه من الخدم إلا ذلك الخادم العجوز الذي يعتني بالحديقة ويشترى له بعض الأغراض من السوق، وزوجته تنظف البيت بين الحين والآخر، ويقيمان في جناح خاص قرب مدخل القبلا، فما كان بحاجة للخدم من الإنس إذ كان لديه الكثير منهم من الجان، كما أن تلك الفئة الثرثرة بطبيعتها كان من الممكن أن تنشر بين الناس أنه ممسوس أو مجنون إذا استمعوا لأحاديثه مع ثولار.

دخلت ثولار عليه غرفة مكتبه المظلمة، وهو شارد في أفكاره، تتودد إليه كعادتها بحنانها الزائف، لتموء موكا المسكينة فزعة كلما رأتها وشعرت بوجودها، فتنسل خارجة من مكان تواجدها تاركة إياه لها.

كان إبراهيم عندما تزدحم الأفكار داخله ويفتك الصداع برأسه، يجلس في مكتبه مغلقاً كل الأنوار ومكتفياً بالخافت منها المتسلل إليه عبر زجاج النوافذ.

احتضنته ثولار ومسحت على شعره في حنان وهمست له:

• إبراهيم حبيبي.. إنني أتمزق وأنا أراك على هذه الحال.. لقد شحب لونك وفقدت الكثير من وزنك، وزاغت عيناك، وكثر هذيانك أثناء نومك، حبيبي... حقا هذا كثير علي، لا أحتمل رؤيتك على هذه الحال.

• وماذا بيدي أن أفعل يا قولار؟ وكيف لي أن أبدو والشباب الذين دربتهم ليصبحوا زهر الوطن تزهق أرواحهم ويتساقطون أمامي صرعى مضرجين في دمائهم في ريعان عنفوانهم الواحد تلو الآخر، وأنا لا أملك لهم شيئا.

• حبيبي.. افرح من أجلهم، إنهم شهداء عند ربهم يرزقون، يقدمون أرواحهم الزكية قرابين لحرية أوطانهم. من مثلهم الآن؟

• لكن الموت قاس جدا يا قولار، قاس جدا، وأقسى منه حال الثكلى على موتاهم.. أشعر أن كلاً منهم ينتزع قطعة من روحي معه عند رحيله؛ لكم تمنيت كل مرة أن أكون أنا التالي لألحق بهم..

تقاطعته قولار بلهجة حاسمة وعيناها تغرغران بدموع التماسيح :
• لا يا إبراهيم، لا يا حبيبي ، لا تقل هذا أرجوك؛ فمن يحمل رايات النصر إذن ويرد حق هؤلاء الشباب؟ من يسير بهذا الوطن ويقود شبابه إلى بساتين الحرية ويسقي هذا الشعب البائس كؤوس الديمقراطية، ويرفع الظلم عن المظلومين، ويفتح طاقات

النور والأمل للفقراء والمحتاجين، وينزع عنهم أثواب الفقر والجوع والمرض التي أبلت أجسادهم ليستنشقوا رحيق الحياة؟؟!!!!

يغالب إبراهيم دموعه وهو يلقي بنفسه بين أحضانها ويرفّر بأهة مدوية يملؤها الألم على أرواح الشهداء، فيقسم منفِعلاً بأغلظ الأيمان أن يثأر لهم ويرد الصّاع صاعين لكل من ظلم، فتبرق عيناها الماكرتان وهي تشعر بنجاح مآربها وتستطرد في حديثها قائلة :

• ابكِ يا حبيبي بين ذراعي لتخرج ما يؤلمك وأحمله عنك؛ فالبكاء يُطهر الروح من جروحها وآلامها.. ابكِ لتنتهي من بكائك وقد استعدت قوتك ورباطة جأشك لنتباحث فيما علينا فعله، فالوقت يمر بنا ولن يفيدنا البكاء على الراحلين وإلا لحق بهم من تبقى.

• وماذا علينا أن نفعله ولم نفعله بعد؟ لقد أسقطنا نظاماً تربّع على عرش الظلم لسنوات ودهور في أيام قلائل، وزجّنا برجاله ووزرائه لغياهب السجون وأخضعناهم للإقامة الجبرية ومنعناهم من مغادرة البلاد حتى يتسنى للشعب القصاص منهم، وأجبرنا الشرطة على الانسحاب والتقهقر أمامنا، وحيدنا الجيش واكتسبناه داعماً لصفوفنا، ولكن ! كما ترين مازال رجال النظام القديم ومؤيديه يثيرون الفرع بين صفوفنا بإسقاط القتلى وحروب الشوارع لا تنتهي بيننا وبينهم. ناهيك عن عصابات المرتزقة الذين استغلوا تلك الثورات وراحوا يسفكون الدماء على

حدودنا ويثيرون الفزع بين كل شعوب المنطقة.. بتّ أشعر أن الأرض تميد بي.. ثولار.. تعلمين كم أكره الدماء والقتل وأميل دوماً للسلام وإعمال العقل، وكل ما يحدث منافٍ تماماً لذلك.

• ولكن ! لما تلوم نفسك؟

لست أنت من أتى بكل تلك الدماء.. كُفّ عن تأنيب نفسك في كل حين، رفقاً بنفسك.. كما أنك لو نظرت للجانب الآخر لوجدت أن هذه الدماء التي سالت هي من مهدّت الطريق للنصر وعززت موقفك وموقف الثوار ويسرت مهمتكم وجعلت السواد الأعظم ينحاز لكم.

• حسناً، وماذا بعد؟ الدماء مازالت تراق..

• سؤال جيد... ماذا بعد؟

لابد إذن من إسراع الخطى لتشكيل كيان سياسي يضمك والشباب، تطالبون من خلاله بتمكينكم من السلطة وتولي مقاليد حكم البلاد لتكمل مهمتك التي بدأت من أجلها في إرساء دعائم دولة العدل.

• كيان سياسي؟ أتقصدين أن ننشيء حزباً سياسياً؟

• نعم، اليوم وليس الغد يا إبراهيم ستبدأ بتنفيذ خطواتك لهذا الأمر، ستتصل حالاً بكريم و د. أسعد الصفواني لإنجاز هذا الأمر.

• قاطعها غاضباً : الوزير الفاسد؟ رجل النظام البائد؟

• لا تكن ساذجاً.. إنه رجل كل الأنظمة يا إبراهيم.. سيأتمر بأمرك وينفذ ماتريده منه بكل دقة؛ فالأمر بقبضتك الآن وأنت بالنسبة له الحصان الرابح، كما أنك أنت أيضاً تحتاج لخبرته؛ فهو داهية بلا أدنى شك.

• ولكن !

• بدون.. لكن... نحتاج للفاستين لنحقق العدالة، هناك خفايا قذرة لن نستطيع الوصول لدهاليزها وخفاياها دون أن يصاحبنا دليل يعرف تلك الخوافي جيداً.

• سيرفض الشاب الاستعانة به، وقد يظنون بي سوءاً.

• ستستطيع إقناعهم إذا ما أخبرتهم بالحقيقة، وحتمية احتياجكم لمثله لإنجاز مهامكم، وسينضم إليك الشاب لأنهم يؤمنون بك.. لكن لقاء اليوم سيكون ثلاثيا مغلقاً هنا في مكتبك.. أنت وكريم ود. أسعد فقط.

وأنا بالطبع.. سأكون بجانبك ولن يراني سواك كما تعودت في كل المواقف الصعبة، لأنبهيك دوماً كيف تدير الأمور لصالحك.. أعني لصالح الدولة لتتحقق العدالة.

نفذ إبراهيم ما أوعزت إليه به ثولار واتصل بكريم و د. أسعد الذي كاد أن يطير من فرط السعادة ويكاد لا يصدق أذنيه أن إبراهيم قد اتصل به بالفعل؛ فأتى مسرعاً ليجد لنفسه مكاناً مع النظام الجديد الذي قلب الموازين، معلناً ولاءه وتأييده التام للثورة المجيدة.

فاق نجاح الاجتماع توقعات إبراهيم الذي كاد أن يتقيأ قرعاً من سرعة تلون د. أسعد ضد النظام الذي ترعرع في خيرته، والذي أوشك أن يقول أنه هو من أعدّ لتلك الثورة وكيل من الشنائم والتهامات للنظام البائد مافاق خيال إبراهيم أن يتوقعه، ولم ينس بالفعل أن يتذرع بكونه أول من أثنى إبراهيم عن الالتحاق بركب النظام البائد وعن خوض الانتخابات البرلمانية الأخيرة وحذره من زعزعة موقف (العاج)، وعزى ذلك إلى علمه ببواطن الأمور، وأنه كان على صلة وثيقة ببعض شباب الثوار بل كان يسانداهم سرا ويدعمهم ويشاركهم التخطيط، وكان إبراهيم وكريم يتبادلان في صمت النظرات ذات المغزى؛ فهؤلاء الشباب صنيعا أيديهما الخالصة...

أراد كريم أن يقصر المسافات فوجه كلامه غامزاً ل د. أسعد :
• إبراهيم بك.. بالتأكيد جمعتنا اليوم لشيء هام ، أليس كذلك؟ ثم نظر إلى إبراهيم وأكمل حديثه في هدوء واثق :
نحن رجالك وفي خدمتك ومعك دائماً.

• ابتسم إبراهيم وتوجّه لهما بكلمات قليلة وحازمة : جميعنا في خدمة هذا الوطن يا أعزائي، أسعد بك ، كريم... نحن أبناء اليوم؛ فلندع الحديث عن الماضي إذن لنبدأ فيما يفيد مستقبل الوطن.

• تحت أمرك طبعاً يا إبراهيم بك (قالها د. أسعد كما قالها كريم)

• سنقوم بإنشاء حزب سياسي يضم كافة الثوار، وستقوم أنت يا د. أسعد بمساعدة كريم بتجهيز اللازم، وإنجاز الأمر في غضون يومين أو ثلاثة على أقصى تقدير.

• قال د. أسعد : الأمر يحتاج لتصاريح وإجراءات قانونية.

• ردّ إبراهيم بابتسامة مأكرة : لهذا أنت تشرفنا بحضورك اليوم، فهذا ملعبك بلا منازع، متى إذن تكون أمامي كل تلك التصريحات والأمور القانونية اللازمة؟

• أجاب د. أسعد : أحتاج لأسبوع على الأقل.

• أجاب إبراهيم : يومان فقط.

وقبل أن يترك لـ د. أسعد مجالاً للفصال المعتاد في الوقت نظر إليه إبراهيم مُحفزاً بحيث لا يترك له مجالاً للمفاوضة قائلاً : أنت تستطيع، وأنا أثق في قدراتك جيداً، فأنا أجد اختيار رجالي، ثم نظر إلى كريم قائلاً :

كُنْ مع د. أسعد ونفذ كل ما يطلبه منك يا كريم.

عرف إبراهيم كيف يُلْهب حماس أسعد الصفواني ويسيلُ لعبه
للحصول على مركزٍ مرموق في النظام الجديد...

كانت ثولار مُحقة.. فهي دارسة جيدة لأعدائها ومعاونيها، حقًا
أسعد الصفواني هو رجل كلِّ الأنظمة...

(٢٦)

وقبل أن يصل د. أسعد لسيارته كان بالفعل قد بدأ في إجراء اتصالاته وشرع في الإجراءات؛ وهذه المرة هو على استعداد لأن يدفع كل ما يملك من الأموال في نظير أن يحصل على امتيازات مع هذا النظام الجديد؛ ويلوم نفسه لأنه بالرغم من تعاملاته السابقة مع إبراهيم لم يدرك مدى قوته وجبروته ليطيع بنظام عتيد آمن مستقر في غضون أيام قليلة وكيف ومتى أعدّ هذه القوة الهائلة من الشباب وهو الذي كان يطمح في مجرد كرسي برلماني منذ أشهر قليلة ؛ لذا عاهد د. أسعد نفسه أن يبذل قصارى جهده ليكسب ثقة هذا الرجل الخارق

في صباح اليوم التالي للاجتماع الثلاثي كلف إبراهيم كريماً بترتيب لقاء عاجل مع قيادات الشباب للتباحث في أمر الحزب السياسي، وسرعة إنشائه وإقناعهم بأهمية التواجد السريع على الساحة السياسية ؛حتى لا تضيع دماء شهدائهم هباءً ويستفيد سواهم مما بذلوا دماءهم للوصول إليه.

كما أن عليه مهمة إقناعهم بضرورة استخدام بعض فساد النظام السابق كد. أسعد الصفواني وغيره إذا لزم الأمر؛ لتيسير القوانين والامور الإدارية على ألا يكون له أي تأثير على أي قرار سيتخذه الشباب بشأن إدارة الحزب وقراراته وسياساته، ومن ثم الوصول الفعلي لحكم البلاد وتخليصها من رؤوس الفساد وأتباعه وردّ الحقوق لأصحابها.

وكان كل ما يشغل إبراهيم بالفعل.. هو كيف يصلح ما أفسده المفسدون لأجيال مضت..

في مساء نفس اليوم التقى إبراهيم بقيادات الشباب بالفعل وتباحث معهم في أمر إنشاء الحزب السياسي، واستمع إلى وجهات نظرهم المتباينة وكعاداته معهم كان مستمعاً جيداً لآرائهم وتقبل اختلافاتهم معه بصدر رحب، فهو مؤمن بأن إهدار هذه الطاقات الشابة هو الأساس لكل فساد بل هو معول الهدم الحقيقي لدعائم أي دولة؛ ولأنه مؤمن بهم ويحترم آراءهم فهم كذلك يبادلونه الشيء ذاته ولديهم استعداد جيد للإنصات له.

كان الجميع هو والشباب قد استحسنوا فكرة إنشاء الحزب السياسي، ولكن كان الخلاف كما توقع مسبقاً يكمن في استخدام بعض رموز الدولة القديمة؛ فالشباب الثائر يرى فيهم قتلة رفاقهم

ويرى في الاستعانة بهم خيانة لثورتهم ولشهادتهم ويعد بمثابة
وضع أيديهم في أيدي ملوثة بدماء الشهداء ؛ حاول إيصال وجهة
نظره لهم واستطاع بلباقته المعتادة أن يستميل معظمهم لوجهة
نظره، فتم أخذ الأصوات وكانت الغلبة للفريق المؤيد لرأيه مما
جعله يشكر الجميع على الثقة ، وقدم لهم العهود والمواثيق بألا
يُهدر دم الشهداء ولا يسمح بالفساد والفاستدين بالتوغل بينهم
وإنما فقط سينفذ بهم ما لا يُنفذ بسواهم.

بعد انتهاء لقائه مع الشباب كان إبراهيم يشعر بالضيق نوعاً ما ؛
ذلك لأن الآراء في الشارع ليست على ما يرام وأن ثورة الشباب
لا تكتسب التأييد الشعبي المطلق؛ فالشعب منقسم لعدة فئات ولا
تمثل أي منها أغلبية مطلقة، بل إن الصراع بين الفئات المختلفة
يصل حدّ التراشق بالألفاظ والتدافع بالأيدي وربما إلى حرب
الشوارع أحياناً، فكل فئة ترى الحق المطلق معها دون سواها، ولكن
نسبة التأييد حتى الآن تعتبر جيدة ؛ لذا.. وكضارب قديم في
البورصة وأسواق العملات تعلم أن يستغل أبسط المكاسب
لتحقيق نسب أعلى من الأرباح حتى لو كانت تدريجية ولا
تأتي دفعة واحدة ؛ فعدة مكاسب بسيطة متقاربة ستحقق ربحاً
وأفرا على المدى الطويل ؛ بل إن لغة المال علمته أيضاً أن يخاف من
ارتفاع الأسهم المفاجيء لأنه في الغالب يعقبه سقوط مدوي.

بناءً على ذلك... فقد قام بترتيب لقاء تليفزيوني يُطل من خلاله على عدد أكبر من المشاهدين ويتسلل إليهم في ديارهم، يتحدث فيه بلباقته المعهودة لعله بذلك يكسب أرضاً جديدة.

ولأهمية الأمر بالنسبة له فقد شعر بأنه يحتاج دعماً نفسياً خاصاً فُبيل إجراء اللقاء التليفزيوني، لذا أمر السائق بالانصراف متعللاً برغبته بالاختلاء بنفسه هذه الأمسية؛ لقد أراد أن تصحبه ثولار ليشعر بمزيد من الثقة ويرتب كلماته.

وكان له ما أراد وقدمت له بالفعل نصائحها ودعمها ونبهته بدهائها لضرورة الضرب على أوتار المشاعر لينفذ إلى قلوب المشاهدين، وأن يتحدث بهدوء وحكمة، وأن يخفف من حدة حنقه على النظام البائد ، ويجعل دوماً هجومه منطقياً ومحددًا بأخطاء كارثية شهيرة تكون قد مست شغاف قلوب الناس واكتووا بنارها، أو ربما أيضاً فقدوا أحباءهم من جرائها.

ماكراً ثولار تعرف جيداً متى تضرب لتصيب، تعرف كيف تُعد عدتها جيداً لتنقض على فرائسها بلا رحمة دون أن تترك لهم مساحة للنجاة... وكيف لا وهي... حفيذة إبليس

حقق اللقاء التلفزيوني نجاحًا بدرجة كبيرة واكتسب إبراهيم عقولاً احترمت فكره حتى ولو لم تؤيد فكرته؛ اعتبر نتيجة اللقاء مرضية بالنسبة له إذا ما قاسها بحدة الخلاف في الشارع السياسي، وإذا ما قاسها أيضًا بكونه اللقاء السياسي الأول له عبر شاشات التلفزيون حيث اعتاد أن يكون ضيفًا فيما سبق في البرامج التي لها علاقة بالاقتصاد ومؤشرات المال ولكن... اليوم أعتبره إبراهيم هو يوم ميلاده السياسي الحقيقي.

في صباح اليوم التالي كان د. أسعد قد أعدَّ كل الأوراق القانونية اللازمة لتدشين الحزب الجديد بما يحقق الانتشار الجغرافي للحزب وموارد التمويل وإنشاء حساب بنكي، وجهاز قوائم الأعضاء المؤسسين وأمناء الحزب ومسؤولي الأنشطة الحزبية المتعددة، كما أعدَّ برنامج الحزب وأهدافه بشكل مبدئي حتى يجتمع بشباب الحزب.

obeikandi.com

اضطراب الأجواء الذي يعم الشارع كان للحزب الوليد الجديد منه نصيب، فالشباب المُنْتَقِد بالثورة والأفكار ، الفائز بالحساس من الصعب توحيد كلمتهم والسيطرة على جموحهم وشطحات أفكارهم.. ولكن؛ مازال لإبراهيم رصيْدٌ لديهم يسمح له بمحاولة جمع كلمتهم تحت رايته باستمرار وإيجاد مساحة لقاء تُطرح بها الحلول الوسطية، المرضية للجميع.

كانت قُولاَر تتابع عن كثب كل هذا وتقدم لإبراهيم دعمها المعنوي، ونصائحها التي تغيّر مُجريات الأمور دوماً لصالحه ، وتحدثت معه عن رغبتها العارمة في أن يصل لمقعد الحكم في بلاده ، مُدعيةً أن ذلك سيعزز كثيرا من موقفها في قومها ، وإنه لو أصبح حاكماً في بلاده واستطاع أن يرفع الظلم عن مملكتها والجور الذي استمر لعقود بسبب أعوان الشر من مملكتها لحكام الفساد من أوطانه، وما طال أرض بلادها من الظلم بسببهم، فإن جاء هو وعدّل كلّ ذلك فرفع الظلم عن بلاده وممكلتها في آنٍ واحد فستكون له مكانة عظيمة في قومها وحينئذ سيدعمونه

بكل قوتهم ويثبتوا أركان حكمه وستقام الاحتفالات في مملكتها
لزوجها من إنسي مثله.

استطاعت بحديثها وتحفيزها هذا أن تمس شغاف قلبه، وتجعله
مستعداً لاستقبال المزيد من أفكارها ليسعى إلى مقعد الحكم
بكل عزم وإصرار، بل إنه أيضاً تابحث معها عن إمكانية وضع
التصور الذي يساعده على الوصول لتحقيق هذه العدالة
وسرعة رفع الظلم والفقر عن كاهل المواطنين، وكانت بذلك
الفرصة مواتية لها لتزرع ما شاءت من الأفكار في رأسه.

جلسا معاً على مائدة الاجتماعات وجاءت بالأوراق والأقلام وبدأت
في رسم خارطة لوطنه ليسهل لها أن تشرح له من خلالها
المطلوب وتبدأ بإقناعه.

رسمت الخريطة، ورسمت النهر الكبير الذي يمر ببلاده فيقسمها
نصفين تقريباً، رسمت الأراضي المزروعة ورسمت القفار، رسمت
البحار والجبال..

ثم بدأت بحديثها عن الفقراء، فقالت :

• هذه هي الموارد الطبيعية للدولة أي هبة الله، وهبة الله
للجميع لكم.. ولنا أيضاً، وأنتم أهدرتم حقوقنا فيها وخالفتم
قِسْمَةَ الله فيما بيننا لذلك لم يجدِ نفعاً لكم، ولم ينتفع الفقراء بما

تفعلون، بل أهدرتم الوقت والمال لكي تحققوا المُحال، فلا المُحال تحقق ولا المال المُهدر عاد ولا الوقت أحد منه استفاد... وفوق هذا وذاك ازداد الفقراء فقراً وشقاءً، وتكبدوا المزيد من العناء.

نظر إليها إبراهيم منصتاً ونظر إلى الخريطة على الطاولة محاولاً الفهم ثم سألها المزيد من التوضيح ، فقالت:

• ماء النهر لنا ولكم وأنتم زرعتم الجانبين، ولم تتركوا لنا جانباً منه، فكُنّا كلما أردنا الماء مررنا من أراضيكم فينتاب الفزع كل من يشعر بوجودنا منكم، وتُحاك القصص والأساطير عن إيذائنا للبشر، فلو أنكم تركتم لنا جانباً ما فزع أحد، هذا بالإضافة إلى أنكم بذلتم الكثير من الجهد في شق الترع والقنوات فاعتديتم على الصحارى التي بها مساكننا ؛ فأفزعتمونا وشردتم قبائلنا فيها ، ويا ليت هذا أجدى في رفع الفقر عن فقرائكم بل زاده، وأثقل أعباء المساكين بالمزيد

هل تعلم لماذا؟

• كيف؟ والأرض الزراعية تزيد وبهذا يزيد الخير والنماء.

• كلا يا إبراهيم ، هذا ظاهر الأمر فقط. متى كانت الزراعة تُغني وتزيد الخير والنماء؟؟ المزارعون في كل زمان هم الفقراء.

فلو أن الزراعة تزيد الخير والنماء كما تدعون لما خلق الله الصحاري وجعل رقعتها أكبر وأوسع من تلك الرقع الصالحة للزراعة.

• ما الذي يزيد الخير إذن ويكثر المال؟

• الصناعة، والسياحة، والتجارة، وغيرها الكثير..

كيف؟؟

• يجب أن يكون دوماً لديك ما يحتاجه غيرك لتقايسه عليه بالمال والزراعة التي تفترض أنها تحقق الخير والنماء لا تحقق لك ذلك.. نعم ، صدقني يا عزيزي، وتعال لنحسبها بالأرقام تلك اللغة التي تتقنها أنت جيداً وتفهمها يا حبيبي Kتابع معي ما سأطرحه عليك ولك أنت الحكم في النهاية.

أولاً : إذا كانت الزراعة أكثر ربحاً فلماذا إذن يعاني ٩٠% من المزارعين الفقر، كما أن النظام البائد قد قام بتجريف الكثير من مساحات الأراضي الزراعية وحولها لمناطق سكنية، وكان المنتفعون من ذلك هم الفسدة من حاشيته المقربين، ولكي يصرف الرأي العام عن تلك الجرائم وزّع الكثير من الأراضي الصحراوية على شباب الخريجين قليلي الخبرة، معدومي الإمكانات ليستصلحونها ويزرعونها بما يمدهم به من إمكانيات لا تُجدي في الحقيقة، ولكنها تعمل كمهديء للرأي العام ضده.

فلا أفلحت تلك الأراضي وزُرعت كما يجب، ولا عادت الأراضي التي جرفت ولا شبع الجوعى ولا اغتنى الفقراء.

ثانيا : الدول العظمى المتحكمة في أسواق المال العالمية هي دول صناعية وتجارية وسياحية، دولٌ لديها كذلك استثمار الفكر و العقول، أما عن الزراعة لديهم فهي تقوم على تكنولوجيات متطورة وآليات لا قبل لبلاد نامية بمثلها ، وهم أيضاً في أغلب الأحيان يستخدمون البلاد الفقيرة ذات الأراضي الخصبة كمزارع لهم ، ذلك لأنهم يمتلكون مايقاضون عليه غيرهم... أي لديهم ما يبيعونه للآخرين ويتربحون منه... أما دولتك فتستنزف ثروتها ومجهود أبنائها في الزراعة بآلياتها البدائية المتواضعة التي بالكاد تكفي احتياج المواطنين ولا تُدر أرباحاً فتظل كما هي عبر السنين، يتقدم من حولها وهي تعيش لتزرع وتأكل ما تزرعه، بل إنه أيضاً لا يفي باحتياجاتها فتشتري من باقي الدول لتكمل احتياجها، فتظل تدور في حلقة مفرغة ولا تتحرك للأمام.

ثالثاً : لديك في دولتك أماكن سياحية وشواطئ وأماكن جبلية وآثار وأماكن علاجية طبيعية وغيرها الكثير، الذي من الممكن أن يُدرّ على الدولة أموالاً طائلة لو تم التسويق السياحي الجيد له، كما يمكنك أن تؤجر للدول الكبرى بعض تلك المناطق السياحية وتعطيها حق انتفاع طويل المدى ؛ وبهذا تدر العائد

الكبير على وطنك وتجعل الدول الكبرى تقوم بحماية أراضيكم بنفسها عندما تتشابك مصالحهم معك.

رابعاً : يمكنك إقامة الكثير من المصانع وتستفيد من بعض الرقعة الزراعية الشاسعة التي لا تُدر أرباحاً وتصبح دولتك دولة صناعية وتتقدم اقتصادياً ويعود الأمر بالنفع على الفقراء والمحتاجين فيجدوا الأعمال التي توفر لهم سبل العيش الكريم، وهناك ما هو أهم من كل ذلك؟

• ما هو؟

• الفكر يا عزيزي.. فالأفكار لا تُقدر بالمال، ولديك ثروة من العلماء والمخترعين الذين من الممكن أن يدروا على دولتك الثروات الهائلة، ويحولوا رمالها ذهباً لو أحسنت استغلالهم.

أنصت إبراهيم باهتمام لكلام ثولار وبدا عليه الاقتناع بمعظمه، وسألها : ولكن ! ماذا عن توفير الخُبز والغذاء الذي يفي باحتياجات السكان؟

فأجابته بأن تكلفة استيراد القمح وباقي المنتجات الزراعية أقل بكثير جداً من تكلفة زراعتها، وتستفيد الدولة من الفرق في إقامة المشروعات والانعاش السريع لاقتصادها، كما تستفيد الدولة من علاقات التجارة والاستيراد من الدول الكبرى التي

ستجد نفسها تحتاج لعلاقتها التجارية بوطنك لأنه مصدر دخل لها فتزداد أهمية بلادك لديهم.

فتح إبراهيم حاسوبه وأخذ يقلب كلماتها في عقله ويحسب الأمر بالأرقام ويجمع وي طرح ويقسم ويضرب، فوجد أن كلامها يبدو صحيحاً ؛ فالأرقام السنوية التي تنفقها الدولة من ميزانيتها في الزراعة واستصلاح الأراضي والأموال التي يهدرها الفاسدون من خلال الانتفاعات المستترة داخل ذلك ثلاث أضعاف ما سينفقه من استيراد القمح والحبوب ، ولتنزرع أراضي الدولة بفواكه التصدير فيستفيد من عائدها أيضاً وكل هذا سيصب في مصلحة الفقراء ؛ فلم لا؟

وهكذا أقنعت ثولار إبراهيم بالبرنامج الذي أعدته واستطاعت تضليل الحقائق كعادتها وإلباس الشر ثوب الخير، فيبدو ما تعرضه عليه في ظاهره الرحمة بينما في باطنه العذاب، فإن كان ظاهره براقاً ويوحى بالآمال العريضة في التقدم الاقتصادي المبهر والنهوض بالدولة فحقيقته أنه سيهوي بها إلى الهاوية، فأى منفعة هذه ستجنيها الدولة وهي لا تملك قوت يومها، أي نفع هذا سيعود على المواطن وقد جرفت الأراضي الزراعية وهلك الزرع والحرث ! أي قوة يخال أنه

سيحصل عليها وقد سلّم دولة أخرى صوامع غلاله؟ وهل يملك قراره من لا يملك رغيّفه؟

لكن إبراهيم يؤمن بأفكار ثولار ويثق بعقليتها الفدّة التي جعلت منه واحدًا من ألمع رجال المال في بلاده ؛ بل أنه لا يملك معها غير ذلك وقد أحكمت سيطرتها على لبه وطوّعته كما أرادت ، لذا لا نراه إلا وقد تبنى أفكارها وبدأ ينشرها ويدافع عنها في حزبه ، وأصبحت تلك الأفكار جزءًا من برنامج الحزب ومشروعه الذي تُعد له الدراسة ليدخل حيز التنفيذ حال وصوله لمقعد الرئاسة ، الذي أعلن ترشحه له وأعدّ أوراقه لذلك وبدأت بالفعل حملته الانتخابية تجوب أرجاء البلاد ويجوب معها ليلتقي بالفلاحين والفقراء، ويعقد المؤتمرات التي أخذت طابعًا فريدًا فلم يكن يتحدث ليقنعهم بنفسه وبرنامج الانتخابي بقدر ما كان مهتمًا بالانصات لهم والاستماع لمشاكلهم.

لقد نجح إبراهيم في كسب ثقة الكثيرين، الذين استشعروا الصدق فيما يصبو إليه من أجل مستقبل هذا الوطن.

(٢٨)

منذ أن سقط أول شهيد عندما اندلعت الثورة وإبراهيم كثيرا ما يرى والده وأحياناً والدته في منامه وأحياناً كليهما..

يأتيانه صامتين لا يتحدثان إليه بشيء وإنما فقط ينظران إليه نظرة لا يستطيع تفسيرها، نظرة لا تنم عن رضى أو سخط، نظرة خالية من التعبير، ولكن اليوم حدث شيء مختلف، أتنه أمه وكان بين النوم واليقظة ونادت عليه بنبرة فيها تحذير؛ فانتبه من نومه فجأة وهو يشعر بشدة خفقان قلبه ليجد هاتفه لا يكف عن الاهتزاز الصامت إشارة لوجود متصل ولكن توقف قبل وصول يده إليه.

حدث نفسه بأنه مضطرب نفسياً وأنه ربما عاد إليه بعض توتره القديم ولم يُعر الأمر اهتماماً كبيراً فما يمر به ليس بالأمر الهين أو اليسير على أية حال.

نظر في هاتفه ليجد أن كريم قد اتصل به سبع مرات، تساءل بخاطر غريب جال داخله ترى ما المهم لدى كريم لتوقظني أمي من أجله؟!

اتصل بكريم وهو يتثاءب بنصف وعي، ولكن المفاجأة التي ألقاها كريم على مسامعه قامت بدور خزانٍ كافيين يكفي لإفاقة حي سكاني كامل..

حيث بادره كريم :

• مساء الخيرات إبراهيم بيك آسف على إزعاجك ولكن الأمر لا يحتمل التأجيل.

• ماذا في الأمر يا كريم؟ أقلقتنني؟ هل أصابك مكروه؟

• لا يا أفندم ، لكن في ضيافتنا الآن في مكتب سيادتكم مبعوثًا لسفارة دولة عظمى ؛ جاء ليرتبّ موعد لقاء مع سيادتكم على وجه السرعة مع سفيرة بلاده، يقول أنها تحمل رسالة من بلاده ورئيس دولتها لكم ، وإنّ هناك أمورٌ هامة عليها أن تتفاوض فيها معكم شخصيا، لذا وجدتُ أن أتصل بك لتحديد ذلك الموعد سريعا.

• و ماذا لدينا الليلة يا كريم؟

• مؤتمر صحفي مع جمعية بناء المستقبل المختصة بشئون متحدي الإعاقة، هل أقوم بتأجيله؟

• ولكنه مؤتمر هام ولا يمكننا تأجيله.. أخشى أن نؤجله فيفسر موقفنا أنه عدم اهتمام بهذه الشريحة من المجتمع.

• ولكن السفيرة تنتظر منا تحديد موعد الليلة.

• حدد معها موعدًا بعد نصف ساعة وأجل المؤتمر لساعتين فقط وحاول أن تعرف من مبعوث السفارة كم ستستغرق المقابلة مع جناب السفيرة من الوقت، فإن كانت تريد وقتًا مفتوحًا فمن الأفضل أن يكون في صباح الغد

• ولكن... أرى أن يكون اليوم على أية حال.

• كريم ، استمع لما أقوله لك فلن أخسر أبناء وطني من أجل دولة أخرى على أية حال.

• كما ترى سيادتكم، سأفعل أفضل ما أستطيع.

لقاء السفراء ورسائل رؤساء الدول أمر لم يتعرض له من قبل، ولكن يبدو أن عليه أن يعتاده؛ لأنه ببساطة دخل إلى عالم جديد له أبعاد مختلفة، وعليه أن يكون حذرًا أكثر في خطواته، لأن كل خطوة قد يكون ثمنها باهظًا وقد تحقق مكاسبًا غير متوقعة، المهم أن ينتبه أين سيضع قدمه في الخطوة القادمة.

أدركت السفيرة أنها أمام شخصية تتمتع بالذكاء وسرعة البديهة، شخصية لا تنهر بسهولة.. حقًا إنه يحمل جينات حاكم.

obeikandi.com

اختارت السفيرة أن يكون اللقاء في صباح اليوم التالي ، وأن تكون مدته مفتوحة، أحبت أن تستفيض معه في الحديث لتتمكن من نقل صورة كاملة عن ملامح شخصيته لدولتها ، بدأت حديثها بالتهنئة التي حملتها له من رئيس دولتها وشعبها على نجاح ثورته ضد النظام البائد وأبدت له رغبة بلادها في التعاون معه وتوطيد أواصر الصداقة بين الدولتين، كما وعدته بتقديم الدعم اللازم حال وصوله للحكم، كما أبدت إعجاب دولتها بالفكر الاقتصادي الذي طرحه من خلال برنامجه الانتخابي وأنهم على استعداد لتوريد ما يحتاجه وطنه من القمح والحبوب بأسعار مناسبة مقابل إبرام صفقات التعاون العسكري بين البلدين. كما أنهم على استعداد أيضاً لدخول المزايدة على حق الانتفاع بالمناطق السياحية في دولته وأنهم سيكللون هذا التعاون المثمر بمنح دولته القروض التي تحتاجها لإقامة المشروعات.

رحب إبراهيم بعروضها وشكر دولتها رئيساً وشعباً على هذه الثقة، كما وعدها بدراسة العرض المقدم من بلادها حال وصوله للحكم، ولكن شيء ما بداخله بدأ يتشكك في الأغراض الخفية

وراء كل هذه العروض السخية؛ لذا لم يتسرع في إبداء أية موافقة قبل الدراسة من قبل خبراء الاقتصاد الذين سيختارهم بعناية لتحقيق أكبر فائدة لوطنه.

لمست السفارة في شخصيته ذلك الطموح الحذر المصحوب بالذكاء الحاد والغموض، كما أنها نقلت لدولتها أن شخصيته يصعب التكهّن بما ستُقدّم عليه، ولكن لديه الرغبة الأكيدة في التعاون معهم كما يبدو لها بالرغم من كونه يحتاج لمعاملة خاصة.

عززت عروض السفارة البرنامج الذي وضعتة ثولار، التي أثنت بدورها على عروض السفارة وحفزت إبراهيم على قبولها قائلة في ثقة :

• حبيبي إبراهيم ستصبح رئيس دولتك في غضون أسابيع قليلة، والفقراء الذين سيصلون بك لمقعد الحكم ينتظرون منك الكثير في وقتٍ قليل؛ لذا عليك أن تضع عروض هذه الدولة الصديقة على قائمة أولوياتك فقد لا تماثلها عروض من دول أخرى؛ كما أن التعاون مع دولة عظمى كهذه سيكسب دولتك القوة العسكرية والاقتصادية اللازمة لتجعلك في مصاف الدول الكبرى وتحقق التقدم السريع لدولتك، ويتغير حال الفقراء سريعاً في أقصر مدة زمنية.

• مازلت أفكر في الأمر مليا يا ثولار، داخلي شيء من القلق والتوجس.

• ممّ يا إبراهيم؟ دعك من مخاوفك وترددك هذا ولا تُضِعْ منك الفرصة فتندم عليها، سيساعدك قبول هذا العرض ليشعر الفقراء بسرعة تغيير أحوالهم للأفضل؛ فيلتف الناس حولك وتزداد مساندتهم لك فيقبلون على العمل والانتاج.

• ولكن !

• ليس هناك مجال لكلمة لكن ! ثق بي فأنت تعلم أن لي رؤيتي الثاقبة.

• سأفكر مليا يا ثولار، يساورني بعض القلق.

• بل ستوافق يا حبيبي... ألا تريد أن تصبح زعيماً يُشار إليه بالبنان؟ لن تصبح رئيساً عادياً كمن سبقوك؛ فأنت مُختلف... مُختلف جداً..

سيتيح لك هذا العرض أن تبلغ مكانة الزعماء الذين سطر التاريخ أسماءهم من نور؛ لأنك ستنقل دولتك من دولة فقيرة تستهلك ما تنتج من مزروعات فقيرة إلى دولة عظمى لها كيان إقتصادي، يرتفع فيها دخل الفرد ليعيش برفاهية غير مسبوقة في العهود السابقة.. سترعى مصالحك تلك الدولة لأن مصالحها أصبحت مرتبطة بمصالحك.

أعاد إبراهيم خُصلات شعره المتناثرة على جبينه للخلف وهو شارد الذهن مُشتت النظرات وتمتم لِقولار : سنرى ما يسفر عنه الغد...

لم يعجب قُولار هذا التردد الذي لمسته من إبراهيم، هذا التردد سيفسد خططها، ضيقت قُولار عينها غير راضية وهي تحدّث نفسها قائلةً : سأندبر الأمر...

كان لابد من اجتماع عاجل لقُولار بأعوانها لتحريك الأجواء للضغط على إبراهيم لقبول عروض تلك الدولة التي ستسهم في وصول قُولار لمبتغاهما وتحقيق مصالح مملكتها كما أرادت.

تم الاتفاق معهم على عدة خطط تسير في خطوطٍ متوازية على أن يبدأ التنفيذ فور وصول إبراهيم لمقعد الحكم؛ فلن ترك له الوقت للتفكير وإفساد مخططاتها على أية حال ، ولكن الآن ستتضافر الجهود لإيصاله للحكم.

من ناحيةٍ أخرى كان على قُولار أن تشعله بالحماس وبإثارة غرامه حيناً آخر وتذكره بحلمها أن يكون زعيماً يرد الظلم عن مملكتها لتتوجّها مملكة الجانّ كما سيتّوج على حكم بلاده. إلا أن إبراهيم قد تغير فيه شيء ما...

(٣٠)

عندما تُخْذَش أرواحنا يَخْفُت ضوؤ ما داخلنا ؛ ذلك الضوء
الذي كان يهب الحياة رونقها فلا تعود البهجة إلينا مهما علت
ضحكاتنا...

في ليلة أشعلتها قُولار بكل نيران الغرام، لكن إبراهيم لم
تلهبه تلك النيران كما كانت تفعل من قبل، بل بدا آلياً وكأنه بلا
روح، كانت تجد نفسها خافتة بين زخم أفكاره ومخاوفه من
الغد الملبّد بالغيوم، التي حاولت جاهدة أن تصرفها عنه لتحتل
المكانة الأكبر بين زوايا نفسه وعقله وقلبه ومشاعره،
وتفرض سطوتها الكاملة عليه، لكنه اليوم قد اختلف..

كان عليها أن تدرك أن طبيعته البشرية المتأرجحة بين طينٍ من
صلصالٍ كالْفَخار ونورٍ من روح الله لها جوانب عَصِيّة وأن عبثها
مع النور داخله وجَلَد روحه بسيّاط الفقد وأنهار الدماء التي
سالت أمام ناظريه ستترك أثرها الذي لا يمكن محوه؛ فأصبح
كالوشم على جدار القلب.

نعم ، اختلف إبراهيم.. اختلف كثيرا، لكنها ستجد طريقها إليه، وكيف لا تجده وهي تراه من الداخل، تستعمر زواياه الخفية.. هي ليست كالإنسيات العاجزات عن الحيل.. هي تستطيع أن تجري منه مجرى الدم والروح وتضع يدها برفق على نقاط قوته وضعفه... خلاصه من سطوتها عليه ضرب من الخيال.

وكما نجحت من قبل في إبعاده عن الجميع واعتزاله للبشر ولجوئه للعلاج النفسي وتخبطه حتى وقع بين براثنها؛ ستنجح من جديد في إخضاعه لما تريده منه، فلن تسمح له بالفرار من قبضتها.

الشيء الوحيد الذي أغفلته ثولار لأنها لن تستطيع أن تراه أبداً.. هي تلك الرسائل التي تأتيه من الله؛ لعله يستطيع التقاطها في حينها لينجو من بين براثنها.

شرع أعوان ثولار في تنفيذ ما تم الاتفاق عليه معها، وبدأوا بتهيئة الأجواء، لكنها تهيئة شائكة كسلاح ذو حدين؛ أحدهما سيُزجُّ به زجاً مذللاً كل الصعاب، مدفوعاً إلى مقعد الحكم؛ وحده الآخر موجهاً إليه إن لم يخضع لتنفيذ مخططات ثولار فور وصوله إلى مقعد الحكم، والعجيب أن نفس أدوات التهيئة هي ذاتها أدوات الإطاحة به..

بدأ افتعال الصراع بين طوائف الشعب المختلفة وكان على إبراهيم أن يتوافق مع الجميع ويُقدم حلولاً مرضية ووعوداً لكل جانب ليكسب أصواتهم وولاءهم له، لم تكن الخلافات الطائفية العقائدية هي فقط ما تم افتعالها، وإنما اختلافات قبلية في بعض المناطق التي تحكمها القبائل وأخرى نزاعات انتمائية أكثر خطورة لأنها تمس مناطق حدودية تهدد أمن دولته واستقلالها.

تلك الوعود التي قدمها والحلول التي لاقت قبولاً من جميع الأطراف هي السيف المسلط على رقبتة إن لم تُنفذ كما يجب؛ حيث أن جميع أطراف النزاع اعتبروا أن أصواتهم له تُعد ثمنًا لما عليه تنفيذه وإلا خرجوا عن الطوق ودولوا قضاياهم ليقع هو في حيص بيص.

وفي الوقت ذاته انهالت عليه عروض الدول الكبرى التي أخذت ترسل له سفرائها ليعرضوا عليه سبل التعاون المختلفة في جلسات سرية، والتي تمنح كل منهم امتيازات داخل دولته إن أتمها مقابل الحماية والدعم المادي والعسكري وتبادل المصالح، وبهذا تعددت العروض المقدمة إليه وبدأ يفاضل بينها ولم يبرم وعوداً لأي منها، بل أرجأها جميعاً لحين وصوله للحكم واختيار المستشارين ومن ثم اتخاذ القرار الملائم لدولته.

لم تشعر قولار بالارتياح لتردده، ولكنها بدت أكثر هدوءاً لاقتناعها أنه لابد سيختار أياً منها شاء أم أبى ؛ وكلهم سيؤدي لها الغرض المنشود؛ فهي من وضعت كل تلك الخطط المحكمة وأنت بها إليه ليتخذ أحد القرارات التي أعدتها هي؛ فيبدو له الأمر أنه صاحب القرار بينما الحقيقة أمر مختلف. فهي كمن قدم له نفس الوجبة ولكن في أطباق مُختلفة فلا يعني اختياره للطبق ولونه أنه اختار الوجبة المُقدمة فيه، لقد حددته بإطار لن يخرج عنه.

تشابكت خيوط العنكبوت التي نسجت بعناية حول إبراهيم؛ فبدأ من المستحيل أن يفلت منها وباتت المسألة مسألة وقت لا أكثر؛ فحالما يصل إلى مقعد الحكم سيكون قد نضج وحان وقت التهامه.

(٣١)

كان على (كريم) أن يرتب كل شيء يخص عروض الدول المختلفة بنفسه ، ويحفظ المعلومات على ملفات سرية خاصة على الكمبيوتر الشخصي الخاص بإبراهيم، والنسخة الأخرى على الكمبيوتر الخاص به شخصيا ، وليس على أجهزة الحزب أو أجهزة الشركة حفاظًا على سريتها الكاملة؛ فلم يكن إبراهيم يضع ثقته في أي شخص آخر، أما النسخة الثالثة المطبوعة فكانت في خزانة إبراهيم الخاصة في مكتبه في القلعة.

اقترب موعد الانتخابات واستعرت الحروب الانتخابية بين المرشحين المتنافسين الثلاث الذين تقدموا لخوض الانتخابات.

لم يكن إبراهيم يضع لمنافسيه حيزًا كبيرًا من تفكيره ؛ حيث استطاع أن يجمع بسهولة خبايا وفصائح عن كليهما ، وقام أعوانه ببثها مثبتة عليهم أحيانًا بالصوت والصورة؛ فمن لم يشاهد بنفسه بلغته الأخبار من ثقات شاهدوا بأنفسهم ؛ بل إن نسخًا من اسطوانات إداناتهما وفصائحهما كانت قد وصلت لهما

شخصيا ولزوجاتهم أيضاً، في حين لم يستطع أيًا منهما التقاط أي خيط يصل لخبايا إبراهيم؛ بالرغم من كونه غير متزوج في مجتمع شرقي لا يسمح بعلاقات غير شرعية إلا أنهم لم يتمكنوا من إثبات أي شائعة ضده، بالإضافة لتاريخ إبراهيم الطويل في خدمة الفقراء ورعاية مصالحهم، مما هياً أن تكون المعركة الانتخابية محسومة لصالحه ومتمتهى النزاهة.

جاء اليوم الحاسم بعد ثلاثة أيام لم يذق فيها إبراهيم طعم النوم ولم يتسنَ لفلولار الامتثال أمامه، ولو للحظة وإن لم تترك مكانها بين أفكاره حيث كان معظم شباب الحزب وأعضاء حملته الانتخابية منتشرين في كافة أنحاء قُبلته وحديقته وحتى حول الأسوار فالمكان الوحيد الذي لم تطئه أقدامهم هو غرفة نومه ولولا الحرج وقليل من الحياء لدخلوها أيضاً، ثلاثة أيام متواصلة انعدم فيها كل مايشير للخصوصية من بعيد أو قريب ولم يعرف أي شيء سوى القهوة طريقه إلى معدته المضطربة بالرغم من موائد الطعام المبسوطة للزوار ليل نهار والتي قام كريم بالتعاقد مع كبرى الفنادق للإشراف عليها..

الشاشات موزعة في كل مكان في القفلا والحديقة والشوارع المحيطة لمتابعة حركة اللجان الانتخابية ولجان فرز الأصوات

بعدها، وصل الترقب غايته القصوى وبلغت القلوب الحناجر
واتجهت الأحداق تتابع الأرقام والنتائج المعلنة على الشاشات
والجميع يحسب ويجمع وي طرح.

وعلى الرغم من الارتياح الذي دبّ في نفوس الجميع من
المؤشرات بنجاح إبراهيم نجاحًا ساحقًا إلا أن الأنفاس حبست
وقت الإعلان النهائي الرسمي لنتيجة الانتخابات لتتعالى بعدها
صرخات الفرحة بالانتصار، وتدوي أصوات طلقات الأعيرة النارية
في الفضاء وأطلقت الأغاريد ابتهاجًا بالفوز.

نعم،... فاز إبراهيم بمقعد الرئاسة وبات الحلم حقيقة...

حُلم ! حُلم مَنْ؟؟ حُلم ثولار ، حُلم مؤيديه ، حُلم شباب
الحزب الذين وضعوا فيه آمالهم، حلم الفقراء، حلم المظلومين،
حلم الطوائف والقبائل المتنازعة ببلوغ مرادها، حلم الدول الكبرى
الطامعة في اقتسام دولته والتهامها كوجبة شهية طال انتظارها.

إنه حُلمٌ لكثيرين حقًا، ولكلٍ منهم دوافعه المختلفة، ولكن
لإبراهيم بدا الحلم مُختلفًا جدًّا؛ فلحظة إعلان فوزه تذكر حُلمًا
رآه في ليلةٍ سابقة في غفوةٍ غفاها على مكتبه... حيث رأى
والدته تأتيه هذه المرة بنظرة متعاطفة وتعطيه مُصحفًا
ومفتاحًا وصندوقًا عتيقًا أخضر اللون، وعندما همّ بوضع المفتاح

في الصندوق استيقظ على صوت أحدهم يناديه ليعلمه بما
وصل إليه الفرز من نتائج.

يصعب وصف ما يعتمل في نفس إبراهيم الآن... إنها لحظة
فارقة ليست من عمره فحسب، بل من عمر الوطن الذي لم
يدرك من قبل كم ذاب به عشقاً..

في غمرة احتفال كل من حوله، والمشروبات والحلوى تُوزع على
المهنيين في منزله وفي مقر حزبه وفي الشوارع والميادين والذبائح
التي توزع على الفقراء وسط ابتهالاتهم له بالدعاء بالنصر
والتوفيق وجد نفسه ينسحب في هدوء ويركب سيارته بمفرده
متخفياً خلف نظارة سوداء تخفي نصف وجهه ومعطف وكوفية
تخبيء نصف وجهه الآخر ليهرع إلى مسجد متواضع في أحد
شوارع الحي الذي يقطنه.... يتوضأ ويدلف إلى ركن قصي في
المسجد ويخر ساجداً باكياً متوسلاً في خشوع غريب....

بكى، و بكى و توسل : يا إلهي ! كم أحتاجك.. يا إلهي كن
معي.. يا إلهي يا مالك الملك يا من تهب الملك لمن تشاء وتنزعه
ممن تشاء أعني يا رب على ما حملتني.

خرج من المسجد هادئاً متماسكاً، ركب سيارته ثم انصرف بهدوء
عائداً إلى حيث صخب الاحتفالات الذي لم يهدأ في منزله، ولم
يشعر بغيبابه أحدٌ ، حتى ثولار لم تشعر بغيبابه فلقد أراد الله

ذلك، وفي تلك اللحظة التي يتواصل فيها قلب إبراهيم مع الله
في خشوع كانت ثولار في حضرة الرأس الأعظم لشكره على
دعمه المقدس الذي ذلل لها الكثير من الصعاب وترتيب ما هو
آتٍ لتكتمل مخططاتها كما أرادت لها.

الآن فقط شعرت ثولار أن كابوس الياقوتة الذي جثم على
صدرها يبتعد عنها وأنها قاب قوسين أو أدنى من نيل مرادها.

obeikandi.com

(٣٢)

بعد عدة أيام من إعلان النتيجة كان على إبراهيم أن يُقسم اليمين الدستورية أمام شعبه وقادة جيشه ويبدأ في مراسم التنصيب واستلام مقاليد حُكم البلاد رسمياً في احتفال مهيب يليق بمكانة بلاده.

ومع كل خُطوة يخطوها يجد نفسه مُختلفاً، وكأنه ينسلخ من نفسه القديمة وتلبسه نفس جديدة مهمومة بما تحمله من أعباء ومسئوليات، وجوده في بؤرة الضوء حدّ كثيراً من أوقات اختلائه بنفسه ليجلس مع ثولار ويتحاور معها على الرغم من رؤيته لها تحضر معظم اجتماعاته وتستمع بإنصات لما يدور فيها؛ ولكن من غير اللائق أن يرى رئيس دولة بحجم دولته وهو يحدث نفسه أو يشير إلى الهواء ولو على سبيل الخطأ؛ فلن يراها غيره ولن يستطيع تبرير تصرفات لن تستوعبها عقول سائر البشر، وإن كان حذراً كل الحذر فيما سبق من حياته ولم يشكك أياً ممن تعامل معه في قواه العقلية؛ فالحذر الآن يجب أن يتضاعف آلاف المرات خاصة وهو الذي لم تعد الحراسة تفارقه حتى خيل إليه أنهم سينامون معه في غرفته، حتى شركاته لم

يعد من اللائق أن يترك قصر الحكم ليذهب إليها بنفسه فبات يتابعها عن طريق الهاتف فقط على أوقات متباعدة تاركا تدبير شئونها بالكامل لـ (كريم)، لذا اختُزلت لقاءاته الحميمية بـقُولار في لقاء أسبوعي واحد يحاول فيه الهرب من كل شيء حتى من حراسته الخاصة إلى حيث أحضانها الدافئة في قُبلته الهادئة البعيدة عن الضوضاء والأنظار المتلصصة، يقضي هناك جزءاً يسيراً من النهار بدعوى الاطمئنان على منزله وخدامه العجوز وقطته التي باتت لا تتحرك كثيراً لكبر سنّها، ثم يعود أدراجه إلى قصر الحكم حيث يلزمه البقاء لإدارة شئون البلاد.

كانت المدة اليسيرة التي يقضيها منفرداً بـقُولار لا تسمح بمناقشة جميع ما تريده قُولار، بل كانت تنصت إليه أكثر وتلقي إليه بإيعازاتها بشأن عروض الدول وتحثه على الإسراع في تنفيذ برنامجه الذي سبق إعدادها له؛ ليشعر الفقراء بسرعة تحسن أحوالهم و تنتعش البلاد اقتصادياً، كانت إجاباته لها مقتضبة حيث أخبرها بأنه مازال يحاول فك طلاسم عالم السياسة ومعرفة دهاليزها الخفية قبل أن يصدر أي قرار.

وجدت قُولار أن عليها استدعاء أعوانها لبيدأوا في تنفيذ ما سبق اتفاقهم عليه؛ لإرباك إبراهيم وتوريطة في تنفيذ ما تطلبه منه قُولار.

فجأة.. وجد إبراهيم أن عليه أن يواجه عدة مشكلات أفتعلت كلها في آن واحد تقريباً، فزعما القبائل الجنوبية يطالبون بما وعدهم به إبراهيم من أراضي ومساكن جديدة وصلاحيات تتيح لهم صرف تعويضات ملائمة عن أراضيهم التي انتزعتها منهم الدولة عبر أكثر من مائة عام مضت لإقامة مشروعاتها عليها، مما أضر بهم وبمصالحتهم وتركهم فريسة للفقر والحاجة، طلباتهم مشروعة وهو مقتنع بقضيتهم ولا ينكر خطأ إهمال مطالبهم لسنوات كثيرة زادت من حنقهم على الدولة، لكن ميزانية الدولة لا تسمح والمخرج الوحيد لتلك الأزمة قدمته إحدى الدول العظمى في عروضها السخية للتعاون مع بلاده، يتبلور العرض بمنح هذه الدولة حق استغلال تلك المنطقة من دولته وستقوم هي بدورها بتسوية الأوضاع مع السكان ومنحهم التعويضات المُنْجِية، أو إشراكهم في مشاريع ضخمة تعود عليهم بالنفع الوفير، كما وعدت بإنشاء مدن متكاملة الخدمات لهم.. ولكن !

كان شرط الدولة العظمى مُجحفًا بحق دولته في الموافقة على ما يُقام على أراضيها من مشروعات... ماذا لو أقامت مشروعات تضر بأمن دولته القومي خاصة وتلك المنطقة الهامة من بلاده بإمكانها التحكم في كمية المياه التي تجري في باقي أرجاء بلاده وتشكل أيضاً ثغرة حدودية هامة مع دولة طامعة في ضم تلك البقعة إلى أراضيها.

إنه حقًا واقعٌ في حيص بيص.. وليتها المشكلة الوحيدة التي تفجرت الآن بل أن زعماء القبائل الشمالية كذلك يطالبون أيضًا بما وعدهم به من إقامة مشروعات تنموية على أراضيهم لتحسين أحوالهم المعيشية وخدمة شبابهم زاعمين بأنهم منطقة مهملة عُوملت بإجحافٍ لمدة طويلة، ولم تستغل خيراتها كما يجب بما يعود على أبنائها بالنفع.

ولكنه بدراسة استراتيجيات المكان، والتشاور مع قيادات جيشه أدرك أنها من أشد المناطق الحدودية خطورة، حيث أن الدولة المتاخمة لتلك الحدود هي أشد أعداء دولته شراسة وفتكًا، مما توجب انتشار الثكنات العسكرية بها بصورة لا تقبل التقليل، ولا تسمح إلا بمشروعات ذات طبيعة خاصة، وفي نقاط يحددها جيش بلاده بما لا يتعارض مع الأمن القومي لأراضي بلاده كافة، كما أن هذه المنطقة بشكل خاص لم تجرؤ أي من الدول التي ألقت في جُعبته بعروضها السخية أن تشير أو تلمح لهذه المنطقة من قريب أو بعيد، و لكن ما العمل؟ كيف سيقنع زعماء القبائل هناك عن عدوله عما وعدهم به؟ سيثير هذا حفيظتهم وسيوغر قلوبهم ضده.

في الوقت ذاته ستهدد حدوده الغربية هجمات من العصابات المتحالفة مع القبائل هناك وتزعزع أمن المواطنين؛ لأنها تعتبر منفذًا خطرًا يتسرب منه السلاح بطرق غير مشروعة إلى دولته فيتلقفها أولئك الهاربون من السجون الذين استوطنوا الجبال؛

ليقوموا بعمليات إرهابية قد تقضي على مستقبل السياحة في بلاده... ماذا عليه أن يفعل؟ هل يسرع في قبول عرض إحدى الدول العظمى ويمنحها امتيازات سياحية واقتصادية في بلاده ليحظى بحمايتها العسكرية لأراضي دولته؟ وما مدى النفع الذي ستجنيه بلاده جراء ذلك؟

لم تكثف ثولار بوضعه في محنة حماية الحدود فقط ، بل أتت بجماعات من المدّعين أنهم حماة الدين المتعطشين دوماً للدماء ، يريقونها باسم الجهاد وإعلاء كلمة الله بضمير مستريح، فبثتهم في أنحاء البلاد، يعيشون فيها الفساد، فحرقوا وقتلوا وفجروا ودمروا، وروّعوا العباد؛ وهم يوجدون لأنفسهم ولأتباعهم دوماً المبررات المقنعة، فتارة هم يقتصون من رعاة الفساد، وتارة يدعون بأنهم يطهرون البلاد من الكفر والكفار، وتارة يدعون أن أموال الكفار ودماءهم وأعراضهم حلالٌ بلالٌ لهم، ولكن تأتي الفكرة والسؤال : من هم الكفار في أنظارهم؟ و يا للعجب ! إنهم كل من خالفهم الرأي لا المعتقد، فهم وحدهم حماة دين الإله ومن عداهم فهم أعداؤهم المستباحون.

تكالب الأعداء من كل جانب على إبراهيم ليدفعوه دفعاً لتنفيذ ما أرادت ثولار، و في اجتماعه بقيادات جيش بلاده أخبره القائد الأعلى أنهم بحاجة للمزيد من الأسلحة والمعدات وتكثيف التدريب لمواجهة الأخطار الداهمة، وأنهم -أيضاً- عليهم أن يعقدوا الصفقات التي تحقق المواءمات وتعيد توزيع القوى في المنطقة بما

لا يخل بسيادة الدولة واستقلاليتها وأمنها القومي، ولكن ما يشغل إبراهيم أكبر من ذلك فكل هذا يحتاج لميزانية كبيرة؟، أيهما أولى الآن؟ إطعام الفقراء أم حمايتهم وتأمين حدود بلاده؟

بدا إبراهيم مشتتاً بين واجب، وأوجب، فأَيّ منافع اقتصادية ستفيد إن أخترقت حدود بلاده وذهب أمنها وسلامها؟

طرح إبراهيم على خبراء الاقتصاد في دولته فكرة استيراد القمح والحبوب بدلاً من زراعته لتوفير النفقات حيث بدا له ذلك كأحد الحلول التي تسهم بشكلٍ ما في الخروج من الأزمة؛ فأتاه الردُّ قاطعاً كالسيف، حاسماً كالصاعقة التي شلت تفكيره :
(خُبِزَ البلاد سلاح أمنها القومي؛ ومفتاح استقلاليتها، لا تسلمه لدولة أخرى)

حاول التأكد من صواب هذا الفكر من قيادات جيشه وخبراء الأمن القومي واستراتيجيات الحروب فأكدوها له، فأصابته وَخْزة في قلبه تفتح لديه باب الشك في ثولار.. إذ كيف يفوتها ذلك وهي العاملة بالأسرار، وكيف يخفى عليها الخطر من تسليم سلاح هام كهذا لدولة أخرى وهي أميرة في قومها وابنة ملك له سلطان، وربيبه الساسة والحكماء.. لابد أن في الأمر مكيدة ما، ترى ..! لصالح من تلعب ثولار... لأول مرة تساءل إبراهيم...

أما الحقيقة الأخرى التي كان عليه أن يواجهها بعد أن تفهم الكثير من الأبعاد.. أن أيًا من العروض المقدمة إليه من الدول التي بدت متنافسة على كسب ودّ بلاده لا يمكنه قبولها بالفعل، ذلك أن قبول أحدها يعني استعداد الباقي ضد بلاده والوقت أخرج مما يحتمل المزيد من المجازفات.

إذن عليه مراجعة الكثير مما أقنعت به ثولار... يحتاج للحديث مع كريم فهو رفيق رحلة نجاحه المخلص وصندوق أسرارهِ الأمين، كما أن شيئاً ما داخله لا يستطيع تفسيره يشده دوماً للثقة بكريم، فاتصل به واستدعاه ليقابله.. هاجسا ما أتاه من داخله أن تكون المقابلة في مكان غير مألوف.. لا يدري ما الذي دفعه أن يطلب من كريم أن يذهب لمكان لا تصل إليه الشياطين... فضحك كريم مداعباً وقال : إذن فلنلتق في مسجد من مساجدكم أو كنيسة من كنائسنا.

ضحك إبراهيم، ولكنه استحسن الفكرة لأسباب كثيرة في قلبه؛ فقال له : قابلني بعد نصف ساعة في المسجد القديم في القلعة، أنا مُتجهٌ في طريقي إليه الآن.

أبلغ إبراهيم قائد حراسته بإعطاء الأوامر للسائق بالذهاب إلى هناك بعد أن لفت انتباهه إلى سرية المقابلة التي ستم هناك

بعد قليل ورغبته في عدم لفت الانتباه لموكبه ، ولتقم الحراسة بعمل اللازم سريعاً وتأمين المكان.. اليوم ليس يوم جمعة كما أنه ليس وقت صلاة، وبعد المسجد عن باقي المدينة يُقلل عدد مرتاديه، بالإضافة إلى كون بعض أجزاء من القلعة تخضع للترميم؛ مما يضمن عدم تواجد أفواج سياحية بها؛ فلعل الأمر أيسر لعمل اللازم، وتأمين المكان جيداً.

وصل إلى القلعة القديمة أعلى الجبل ومن ثم إلى المسجد، ومنذ أن أغلق هاتفه مع كريم وهو يردد آيات من القرآن الكريم ويتعوذ من الشياطين وأن يحضرون، فعل ذلك وهو يتمنى أن يكذب حدسه هذه المرة...

لكن للأسف !

خلع نعليه ودخل إلى المسجد تسبقه حراسته للتأكد من إعداد المكان وتأمينه ليجد كريم في انتظاره بالداخل وقد بدت على وجهه علامات الترقب، فطوال سنوات عمله واقترابه من إبراهيم لم يره بهذا القدر من التوتر والحيرة المسيطرة على ملامحه، لم ترتعش يديه أبداً من قبل حتى في أشد اللحظات حسماً كعقد الصفقات الهامة أو أثناء الثورة أو حتى لحظات ترقب نتيجة الانتخابات الرئاسية.

كان كريم يرى في إبراهيم رجلاً يحمل قلباً كالماس في صلابته ونقاؤه وندرته أيضاً؛ كثيراً ما كان يشعر وهو أمامه أنه أمام بطل أسطوري من أبطال الحكايات الإغريقية التي لم يعد الزمان يتسع لمثله... ترى.. ماذا حدث ليتوتر بهذه الصورة وكأن جمراً يستعر داخله.

سار إبراهيم مع كريم إلى حيث المكان الذي أعدته الحراسة في ركن قصي يمين المنبر الخشبي الكبير حيث وُضعت حواجز خشبية ساترة ووُضع بالداخل منضدة ومقعدين، ووقف طاقم الحراسة على مسافات لمنع وصول أحد رواد المسجد إليهم أو الاستماع لما يدور بالداخل ولو عن طريق الخطأ.

كان إبراهيم في تلك اللحظة بالفعل يشعر أن نيراناً تستعر داخله، يحاول تهدئة نفسه ببعض الآيات والأدعية، فيزداد تأكيداً أنه كان يضاجع عدوه لسنوات وأن كل ما أمده به ثولار ليس سوى أنه وقع في شركها ونقذ ما تريد هي وازداد يقينه بذلك عندما تلى بعض الآيات القرآنية التي من شأنها التحصين من الشياطين وهو يمسك بالقلادة التي طوّقت عنقه منذ سنوات فلا تأتي ثولار... هل يصرفها القرآن إذن؟؟ بل يشعر بحرارة القلادة تزداد بين يديه.. ماذا في تلك القلادة؟

أخرجه من تلك التساؤلات وهذا الصراع المشتعل داخله، سؤال كريم له عن سبب توتره واضطرابه الشديد البادي على وجهه المتعرق بغزارة وعينييه الزائعتين، وسبب اللقاء الغريب في المكان الأغرب، فصمت قليلاً وأغمض عينييه لبرهة حتى يستعيد توازنه، ثم فاجأ كريم بما لم يتوقع سماعه على الإطلاق.

- كريم... لقد أخطأت... ماكانت تلك الثورة قراراً حكيماً.
- أعتقد أن حجم المسؤوليات والصراعات الدائرة في المنطقة ككل وداخل الدولة هي ما ولدّت داخلك هذا الشعور بالإحباط ، لكن الفساد كان عظيماً وكان يجب أن...

قاطعته إبراهيم :
الفساد هو الفخ الذي وقعنا فيه يا كريم لنخطيء هذا الخطأ الفادح في حق الوطن.

- ولكن ! ماذا عن الفقراء في هذا الوطن؟ماذا عن المشردين والمظلومين؟ ماذا عن أحلامنا لهذا الوطن ومستقبله؟

- صدقني يا كريم الأمر أكبر بكثير من تخيلاتنا، والأخطار المحدقة بنا وبهذا الوطن بات عصر الفساد بجانبها نعيماً لا نحلم بالحصول عليه، وقد لا أبالغ إن قلت لك لم يكن النظام السابق الذي ثرنا عليه، بالسوء الذي رأيناه فيه وإن كانت له أخطاؤه،

وتجاوزاته، إلا أننا لا نستطيع إنكار كيف كان يحمي الوطن مما نواجهه اليوم بضراوة.

• لم أتوقع أن أسمع منك يوماً ما تمتدح به طاغية أشقى وطننا لعقود.

• الأمر يا كريم أعمق بكثير مما يبدو على السطح.

• وماذا ترى أن علينا فعله الآن؟ حيث لا سبيل لدينا للتراجع... نحن في قلب المعركة، ولا سبيل لدينا إلا خوضها حتى النهاية.

• نعم، حقيقي ولهذا اجتمعت بك اليوم، أنت موضع ثقتي الوحيد، ويجب أن نرتب معاً لما هو آتٍ لأنه سيكون أسرع وأشرس مما نتخيل ، وواجبنا اليوم أن نبهر بهذا الوطن في خضم تلك الأمواج العاتية لنصل به إلى بر الأمان ، ولا يعنيني بعدها إن متُّ أو حييت.

اصغ جيداً لما سأطلبه منك يا كريم.

• ماجئت إلا لهذا سيدي الرئيس.

• دعك من تلك الألقاب.. أريد منك سرعة ترتيب لقاءات سرية لي بالشباب، وكذلك لقاء بنيافة البابا وفضيلة الشيخ الأكبر ومفتي الديار، ثم لقاءات بشيوخ القبائل تكون بحضور نيافة البابا وفضيلة الشيخ الأكبر، لأبذل من سرعة التحرك ؛ كما سأطلعك على

ما نحتاج إليه تبعاً، وستكون لقاءاتي المنفردة بك كلها في ذات المكان وسأقوم باللازم.

• سأفعل أفضل ما في وسعي ، ولكن...!

• لكن.. ماذا؟

• ستحتاج لدعم أكبر مما سيقدمه نيافة البابا أو الشيخ الأكبر أو مفتي الديار.. أو حتى الشباب.

• ماذا تعني بالدعم الأكبر؟

• ليس لدي صورة محددة، ولكن أشعر بأن هذا غير كافٍ، أظن أنك ستحتاج للقاء رؤساء القبائل في كل أنحاء البلاد.

• دعك من هذا الآن ، سأتدبر الأمر... فقط نفذ ما طلبته منك على وجه السرعة، فكل وقت يمر ليس بمصلحة هذا الوطن حقاً.

(٣٣)

لم تُفرغ ثولار كل ما في جُعبتها بعدُ ، فبينما هو يحاول الموازنة بين ما يُنتظر منه فعله وما يجب عليه فعله، باغتته بالقاصمة، فلم تترك له الوقت الكافي وتمهله لتنفيذ ما يصبو إليه...

نعم إنها القاصمة.. تلك التي سينفطر لها قلبه، وتفقده توازنه وجادة صوابه، فلم تكن لتمهله ليفسد لها خططها ، فهي كشيطانة مُخضرمة عتيقة تسري منه مسرى الدم أدركت أن أموراً لديه خرجت عن سيطرتها وأن مناطق من روحه أُغلقت عليها وفقدت قدرتها على الولوج إليها، كما علمت من خُدام قلاذتها أنهم ليسوا في مأمن وأنه بدأ في محاولات إحراقهم..

لقد آن أوان تلك الضربة الآتية له من مأمنه، من حيث لم يحذر....
شباب حزبه يُعلن العصيان والتمرد عليه... كيف حدث هذا؟
ومتى؟ والأهم... لماذا؟

استطاعت أن تطال منهم بوساوسها وجنودها قبل أن يتواصل معهم.

المطامع هي فطرة البشر، ولولاها لما تسللت الشياطين إلى قلوبهم، فأوغررتها وملأتها شروراً، فعندما تم تشكيل الحكومة الجديدة بدون الاستعانة بالقيادات الشابة من الحزب الذي أوصله لسدة الحكم كانت تلك هي البداية، البداية التي تسللت منها الشياطين إلى القلوب، وعبثت بها كما شاءت.

اليوم... وجد إبراهيم نفسه متهماً بأنه ليس أكثر من صورة شائئة لحاكم عزلته ثورة الشباب؛ بل أسوأ حيث كان السابق يمتلك أدواته ويدرك ماذا يفعل، وكيف يدير شئون البلاد

أما أنت يا إبراهيم فما الجديد الذي أتيت به منذ اعتلائك مقعد الرئاسة؟ أتيت بنفس الوجوه القديمة وأجلستهم على ذات المقاعد المتهالكة ليديروها بذات الأسلوب القديم؟، لقد استخدمت ذات السياط المسلطة على رقاب العباد فأين الشباب؟ وأين الدماء الجديدة؟

أين صناع الثورة؟ أليسوا أحق بإدارة البلاد التي ضحوا من أجلها بدمائهم وفقدوا فيها من فقدوا من الشهداء ؟
فأين القصاص لهؤلاء الشهداء؟ أين الحقوق الضائعة؟؟ هل عادت لمن قامت الثورة من أجلهم؟ أين الفقراء والجوعى والعراة

والحُفَاة؟ هل اغتنوا وشبعوا وسُتروا؟؟ أين الوعود؟؟.... ذهبت
أدراج الرياح ، كما ذهبت الأحلام بمستقبل وطن

هكذا هم الشباب... نظرتهم لا تعدو أقدامهم، يفتقرون إلى
الحكمة والصبر، نجحت ثولار أن تثير بهم الزوابع حول إبراهيم،
وتزعزع بهم عرشه كما أوصلته إليه بهم.

بقدر ما كانت الصفحة موجعة ونالت حقًا من إبراهيم؛ بقدر ما
جعلته يهرع مسرعًا للإمساك بمربط الفرس.

أسرع إبراهيم بعقد اجتماع طارئ مع قادة الجيش وخبراء الأمن
القومي وقيادات أجهزة التخابر، امتد الاجتماع لعدة ساعات
لتباحث الأمر وتقدير الموقف، أطلعهم فيه على كل ما نما إلى
علمه من مؤامرات وأطماع في الداخل والخارج ، واستمع إلى
تقاريرهم وتوصياتهم بشأن الوضع الراهن للدولة والسبل المتاحة
لتخطي الأزمة وكيفية مواجهة تلك الأخطار التي اعتادوا مواجهتها
منذ الأزل بكل حنكة وبسالة ، فلطالما كانت بلادهم محط أنظار
وأطماع الجميع، لكنهم أبدًا لم ولن يسمحوا أن يمسه سوء مهما
تكبدوا من تضحيات..

طوال فترة الاجتماع كان إبراهيم مؤرقًا بأمر آخر... فلطالما عرف جيش بلاده ببسالته وتفانيه عبر تاريخه المديد، بيد أنه هذه المرة يواجه أعداء الداخل أيضًا..

أولئك الذين كسروا عن أنيابهم ومخالبهم وتحالفوا مع أعداء الخارج ومع دولة الشياطين طامعين في بلوغ مآربهم ضد مصلحة بلاده، ومواجهة كل تلك الأطراف مجتمعة في آن واحد يحتاج لأكثر من قوة الجيش... أدرك أيضًا أن الأزمة الحقيقة مع النظام السابق لم تكن فساده بالمقام الأول بقدر ما كانت غموضه وعدم شفافيته وإهماله لتوعية شعبه بما يحدث بهم من مخاطر وما يتوجب عليهم من مهام، وأن الجدار المنيع الذي شيده النظام السابق بين الحاكم وبين محكوميه، لم يمنحه القوة بقدر ما جعله هشة تفتت في أول مواجهة مع شعبه على الرغم من صلابه دعائمه.

لذا قرر إبراهيم أن يتحمل معه الجميع مسؤولية هذا الوطن، وأن يطلع الشعب على حجم الأخطار والتحديات التي يواجهها هذا الوطن، فالشعب الذي اختاره ليمثله وحمله تلك الأمانة من حقه أن يعرف ويشارك في القرار إن كان سيقبل أن يخوض معه التحدي الأكبر أم لا... وهذه أبسط قواعد الديمقراطية التي أتت به إلى الحكم.. حق الشعب في تقرير مصيره.

وبناءً على ذلك فقد أعلن إبراهيم في نهاية الاجتماع أنه بحاجة لمخاطبة الشعب وطلب منهم أن يعدوا له أهم النقاط المسموح بإطلاع الشعب عليها بما لا يشكل خطراً على أمن البلاد القومي، وقد عقد العزم وأقسم على أن لا يخذل شعباً وثق فيه.

ترك القادة في غرفة الاجتماعات لإعداد أهم بنود الخطاب وإعلان الأمر على الشعب وأتجه إلى مكتبه مغلقاً بابه عليه، منفرداً بنفسه لبضع الوقت.

جلس إلى مكتبه وفي هدوء مدَّ يده إلى عنقه لينزع تلك القلادة التي لم يعد بحاجة إلى تطويقها لعنقه بعد الآن ، فقد اعتنق هذا الوطن بما فيه فمنحه هذا الاعتناق القدرة على الانعتاق مما سواه.

obeikandi.com

(٣٤)

((خطاب البردية))

التفّ عموم الشعب حول شاشات التليفزيونات في المنازل والمقاهي وأجهزة المذياع في سياراتهم للإنصات لهذا الخطاب، الذي تم الإعلان عن مواعده مسبقاً، والجميع يترقبه لما أعلن عن أهمية محتواه، وقد حاول إبراهيم أن يختصر فيه المسافات بينه وبين شعبه، ويختصر العبارات كذلك، فلم يرده خطاباً رسمياً مفعماً بالعبارات الجوفاء بين حاكم وشعبه وإنما أراد له أن يكون حديثاً من القلب إلى القلب ومن العقل إلى العقل ومن الضمير إلى الضمير...

وقف أمام الكاميرات وكأنه يرى من خلالها عيون شعبه المُحدقة فيه وتجاوز نظرات الشك المصوّبة إليه وبدأ خطابه لهم بعبارات تفيض صدقاً حقيقياً لمواقف وأحلام عاشوها معاً..

كانت نظراته تفيض حزناً وأملًا في ذات الوقت حين قال مُقراً بحقيقة موجعة :

اسمحوا لي بدايةً أن أعترف أولاً... ثمة مزادات غير مُعلنة يباع فيها هذا الوطن.. نعم.. هي للأسف حقيقة وأكثر ما يوجعنا في الحقائق كونها حقائق..

إخوتي وأخواتي... بنو وطني الكرام... شركاء الحلم والواقع
لقد حلمنا معاً بنهارٍ تسطع فيه شمس هذا الوطن، وتبتدد ظلمته،
ثرنا معاً لنحقق هذا الحلم، وقفنا معاً في الميادين معلنين إصرارنا
على ألا يجتث أحدٌ أحلامنا، آلينا على أنفسنا، وأقسمنا بأغلظ
الأيمان أن تنبت الحقول، وتعزف مياكين المصانع ألحانها معلنةً
انتصارنا على الفقر والجوع والمرض...

لكن !

ربما أوصلنا إيماننا لما نصبو إليه حقاً... بيد أن ثمة حقيقة ما..
أغفلناها أو ربما جهلناها أو تجاهلناها....

وهي أن هذا الوطن هو الحلم والجائزة الكبرى التي تتصارع من
أجله دولة الشياطين وممالك الشر ساعية بكل ما أوتيت من شر
وسخرت له من قوى لتتال خيرات هذا الوطن... هذا الوطن الذي
تشابكت أيدينا جميعاً من أجله... هذا الوطن الذي أشعل الثورة
فينا لنحلق به عاليا... هذا الوطن الذي رويناه بدمائنا...

فوجدنا أنفسنا الآن أمام خيارين لا ثالث لهما، ولا أكذبكم القول
فهما أمران أحلاهما مر..

فإما أن نستسلم لهم ونحني رؤسنا أمام مطامعهم، وإما أن نواجه
التحدي ونثبت لهذا الوطن أننا جديرون به لنسلمه للأجيال من
بعدنا سيِّدًا حراً مرفوع الرأس>>

بنو وطني الكرام... يا من أوليتموني ثقتكم الغالية... حري بي
أن أعتزف أمامكم الآن، أنا لا أملك عصا موسى، ولا خاتم سليمان
ولكنني أوَّمت على خزائن الأرض وما أنا بيوسف...

لذا أضع القرار بين أيديكم الآن ونحن بالفعل في خضم المعركة...
فإما أن أحصل منكم على مساندة لنواجه التحدي ونصمد في وجه
أعنى الرياح، وإما أعلن أمامكم أنني منسحب من ساحة القيادة
الآن... فلست أهلكا لها بدونكم وبدون مساندتكم ودعمكم...

إذ كيف ينجو الربان بسفينة يأبى ركبها أن يعينوه على سد
الثقوب التي ينفذ منها الماء؟؟

والآن الأمر برمته بين أيديكم والقرار قراركم وكلّي إيمان وثقة
أنكم أنتم فقط من سيحمي هذا الوطن بعزمته التي لا تهزها
أعنى الرياح.

لذا أنا بانتظار قراركم الذي أثق في صوابه... هداانا الله وإياكم،
ووفقنا لما فيه صالح هذا الوطن وترابه الغالي...

وبهذا الدعاء النابع من القلب ختم إبراهيم خطابه لشعبه بعينين
اجتهد في إخفاء دموعهما تاركًا القرار الأخير بيد الشعب،

لقد أدرك إبراهيم الآن ما هو ذلك الصندوق الأخضر العتيق
وذلك المفتاح القديم والمصحف الذي أعطتهم له والدته في تلك
الرؤيا... إنها الأمانة والبشرى، أمانة الوطن والبشرى برعاية الله
لهذا الوطن، بعد أن أعلن الحقيقة لشعبه عاد اليوم إلى منزله
هادئًا يحتاج لقسط كبير من الراحة، لكنه عاد بروح مختلفة،
روح قد أدركت النور، واليقين داخله بات يملأه بالسكينة، يقين
بأن.. الوطن حق... و لابد للحق أن ينتصر.

في تلك اللحظة كانت ثولار قد سكنت الياقوتة وُصفت عليها
الأصفاد واستقرت في كهفٍ مظلمٍ في قاع محيط الظلمات نظير
هزيمتها في الجولة الأولى من المعركة الأبدية، هي الآن حبيسة
تلك الياقوتة الملعونة تنتظر أن يُشعل أعوانها الحروب لتتحول
البحار وتتلون بلون الدماء المراقبة ليطلق سراحها من جديد.

نعم... حُبست ثولار ولكنها في انتظار الخروج من جديد

فهل ستستطيع؟ أم ستقضي هناك نحبها؟

هذا ماستجيب عليه الأيام....

عندما التقى بِهَا كانت لِقَلْبِهِ أُمِيرُهُ الضياء

لكنَّهُ لم يُدرك حينَهَا الحَدَّ الفاصلَ بين النُّورِ والنَّارِ

obeikandi.com

"شكر خاص"

شكرا لكل تلك العقول الراقية التي قرأت ما بين السطور
بإدراكها الخاص واستوعبت جيداً ما لم يخطه القلم.

obeikandi.com

"لا تسجن معرفتك وبادل كتبك"

القراءة هي الحياة، فنحن نقرأ لتتعرف على خبرات وحكايات الآخرين، نقرأ لتتعلم شيء جديد، لتتعرف من قرب على عوالم قد لا نعرف عنها شيء، لذا صديقي القارئ لا تسجن معرفتك وبادل كتبك مع الآخرين.

فلا تجعل هذا الكتاب يقف بين يدك وحدك، فمن خلاله قد تكون أستمعت، وتذوقت متعة القراءة، وقد تكون تعرفت على شيء جديد، فلا تبخل عن من حولك بهذه المتعة.

موقع دار الكتب

"نحن نحترم الكتاب"

obeikandi.com

إصدارات موقع دار الكتب:

١. فيرجينيا سيكرت
٢. الفوضى العالمية
٣. سماحة
٤. ايران الخميني
٥. الشاطر حسن
٦. رياح القبور
٧. طال الرنا
٨. مدينتنا غير الفاضلة
٩. على من نطلق الريح
١٠. قصائد في عشق النساء
١١. ومضات من الماضي
١٢. حوار مع النفس
١٣. كارمن
١٤. ومضات من الماضي
١٥. رياح القبور
١٦. كلام لن يفهمه غيرك
١٧. الفرنسيين والشرق
١٨. اغتيال رفيق الحريري
١٩. البحر الميت وكفة برج الميزان
٢٠. العمر لحظات

٢١. ومضات
٢٢. آية الله الخميني بين الثورة و الطغيان.
٢٣. قبل أن أموت.
٢٤. فتاة شرقية.
٢٥. كاتيا.
٢٦. شمس.
٢٧. التعلم النشط.
٢٨. نبضات مغترب.
٢٩. رأيت الشيطان.
٣٠. حل قضية الجبر والاختيار وقضايا أخرى.
٣١. لوزة قطن.
٣٢. حياة وحنين.
٣٣. رحيق العمر.
٣٤. عواطف.
٣٥. الوهم.
٣٦. الاعجاز العلمي في القرآن الكريم.
٣٧. تاريخ مصر الفرعونية.
٣٨. ديوان البت سعاد.
٣٩. الكفايات المهنية للتعليم ما قبل الجامعي.
٤٠. الموعد
٤١. اذا لم تزد على الحياة شيئا كن انت زائد عليها

٤٢. عائدون من بين الانقراض
٤٣. -حذاء جديد
٤٤. حلقات مفرغة
٤٥. يوميات طبيب في وطن مسلوب
٤٦. أصحاب الكرّش
٤٧. جئت ورحلت
٤٨. شخصية مصر
٤٩. ديور... ابن الحرب
٥٠. رجل مدخر
٥١. ليلة في الرنفة
٥٢. استراتيجيات التسويق عبر الفيس بوك
٥٣. يوميات مع نفسى
٥٤. سلسلة القائد المتوازن.
٥٥. يوميات واحد فيس بوكاوى
٥٦. نصف انسان
٥٧. اريد ان اكون زوجة ثانية